
العصمة
بنظرة جديدة
الأستاذ السيد عادل العلوي
(٢)



العصمة

بنظرة جديدة

السيد عادل العلوي

علوی، عادل، ١٩٥٥ ـ م.
العصمة بنظرة جديدة / تأليف: عادل العلوی.
قم: المؤسسة الإسلامية العالمية والإرشاد، ١٤٣٥ ق. = ١٣٩٣.
١٤٥ ص. شابک: ISBN: 978-600-6197-33-3
موسوعة رسالات الإسلامية.
وضعيت فهرست نويسی: فيا.
عربی. كتابنامه: ص. ١٤١ ـ ١٤٢؛ همچنين به صورت زيرنويس.
BP١٠٤/م٢٧ع٨ ١٣٩٣
٢٩٧/١٥٩ ٢٢٧٢٠٢٧

موسوعة
العلوي الميسّرة للشباب

■ الكتاب : العصمة بنظرة جديدة

■ تأليف : السيّد عادل العلوي

■ الناشر : المؤسّسة الإسلامية العالميّة للتبليغ والإرشاد

إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤

■ الطبعة : الأُولى ١٤٣٥ هجري قمري

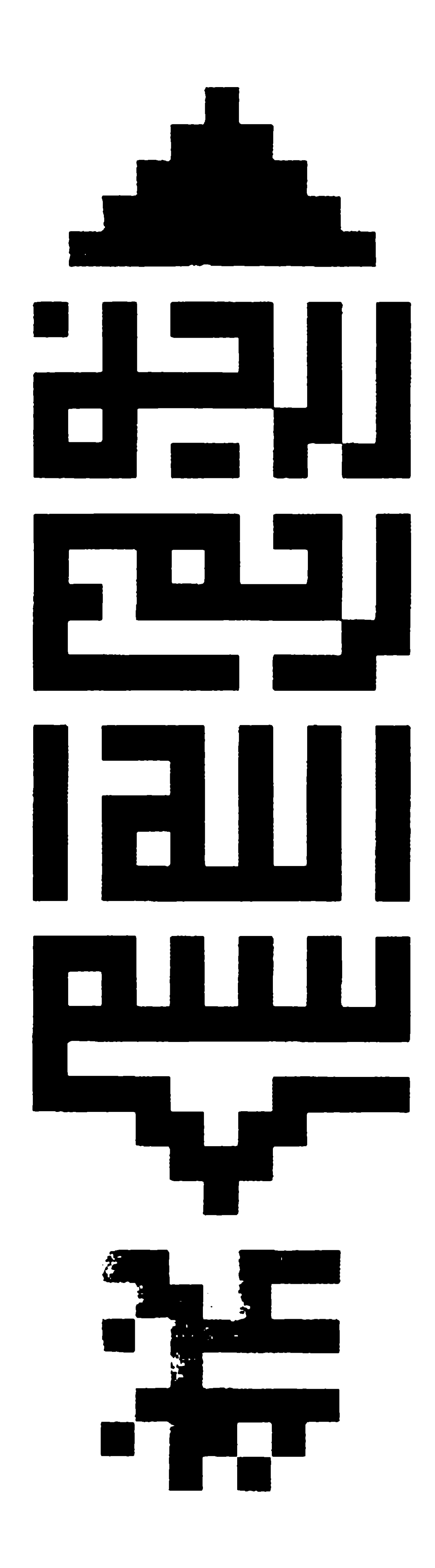
■ التنضيد والإخراج الكومبيوتري : محسن الحامدي

شابك : ISBN : 978 - 600 - 6197 - -

شابك (دورة ١٠٠ جلد): ٩٦٤ـ٥٩١٥ـ١٨ـX 964 - 5915 - 18 - X - (100-Vol.Set)

الموقع الإلكتروني: www.Alawy.Net البريد الإلكتروني: Maktab@Alawy.Net

موقع مؤسسة التبليغ والإرشاد: www.Altabliq.Com



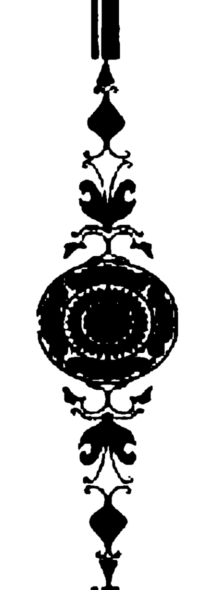
الإهداء

إلى سيّدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام

إلى شبابنا المتعطش لمعارف الإسلام جيلاً بعد جيل

إليكم يا شباب الأُمة الإسلاميّة المعاصرة

إلى كلّ شاب وشابة أُقدّم هذا المجهود المتواضع برجاء القبول والدعاء والشفاعة.



العبد

عادل بن السيد علي العلوي

الحوزة العلمية ـ قم المقدّسة

بسم الله الرحمن الرحيم

العصمة بنظرة جديدة

المقدّمة

الحمد لله العزيز العاصم، والصلاة والسلام على النبي الأكرم الخاتم، محمد المصطفى سيّد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله المعصومين الطاهرين، واللعن الدائم على اعدائهم أجمعين.

ربي أنطقني بالهدى وألهمني التقوى.

أما بعد:

فلا ريب إنّ الدين الإسلامي هو خاتم الشرائع النازلة من السماء ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] فشريعته السمحاء للناس كافة وللبشرية جمعاء، في كل عصر ومصر إلى يوم القيامة.

---

(١) آل عمران: ٨٥.

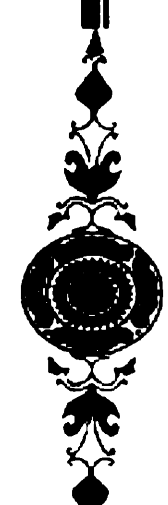
جاء بها سيّد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ.

وكان من شؤونه ومن مظاهر نبوّته قيادة الأُمّة في عصره، وقد دفع الخلاف من بعد رحلته بين أصحابه في إمام زمانهم وخلافة نبيّهم، فانقلبوا على أعقابهم وأحدثوا ما أحدثوا، وغيّروا ما غيّروا، وافترقوا إلى ثلاث وسبعين فرقةً ... ممّا أدّىٰ إلى إختلاف أصحاب المقالات والفرق في صيغة القيادة الدينيّة والدنيوية من بعد رسول الله ﷺ، فذهبت الشيعة إلى انّ الخلافة والإمامة وقيادة الأُمّة إنّما هو بالنص الإلهي وبنصب من رسوله ﷺ كما في يوم الغدير وحديث الثقلين، ومن ثم يلزم الإمام العصمة والعلم اللدني، وذهبت المذاهب والفرق الأُخرى إلى الشورى وإنتخاب أهل الحلّ والعقد، ولكل من الاتجاهين والمدرستين دلائل وحُجج، ولا ريب إنّ الحق في أحد الاتجاهين، فإنّه واحد ومن الواحد الأحد.

ولا يخفى إنّ الظروف السياسية السائدة في عصر النبي ﷺ كانت تحتّم على النبي ﷺ أن يعيّن قائداً من بعده، لتهديد المجتمع الاسلامي آنذاك بالخطر الثلاثي: الروم والفرس من الخارج، والمنافقين من الداخل، فكانت مصلحة الأُمّة تستوجب توحيد الصفوف في مواجهة الخطر الداهم من الخارج والداخل، بنصب قائد محنّك من بعده، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ في مواطن

عديدة بنصب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه‌السلام في مثل يوم الغدير بعد حجة الوداع، بل وعيّن الخلفاء من بعده، وإنّهم إثنا عشر خليفة كلّهم من قريش، وصرّح بأسمائهم وعيّن شخصيتهم لتتم الحجة على الأُمّة الاسلامية جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة، وأمر بالتمسك بهم وبكتاب الله لمن أراد الهَدي، كما في حديث الثقلين المتفق عليه عند الفريقين: السنة والشيعة.

فاختار النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله بأمر من الله سبحانه وتعالى شخصاً إلهيّاً تتمثّل فيه المرجعية الدينية والدنيوية، بكل أبعادها وجوانبها ومعالمها يصون الدعوة الاسلامية من الضياع والانحراف، ويضمن إستمراريتها وديموميتها، متغلّبةً على الظروف القاسية والعواتق التي تحدث في مسيرها من قبل خصومها وأعدائها، وتملأ الفراغات[1] والثغرات وتحافظ على الثغور والقلاع العقائدية.



ولا يقوم بوظائف النبي في حياته إلّا من كان نفسه، ويحمل ما يحمله النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله من الأوصاف والمقامات عدا النبوة وتلقّي الوحي.

ومن الواضح أنّ هذه المؤهلات المعنوية لا تحصل لشخص بطريق

---

(١) كالابهامات الطارئة على الآيات القرآنية والحوادث المستجدّة على الرسالة الاسلاميّة، وصيانت الدين من التحريف والدسّ... راجع تفصيل ذلك إلى كتاب (بحوث في الملل والنحل): ٦: ٢٨ للشيخ جعفر السبحاني.

عادي، ولا بالتربية البشرية المتعارفة، بل لابد من إعداد الهي غيبي خاص، كما لابدّ من طريق خاص لمعرفة هذا الشخص اللّائق بعد رسول الله ﷺ، وهذا يعني لزوم التنصيص الإلهي على الخليفة والإمام من بعد رسول الله ﷺ، الذي يتمتع بتربية الهيّة وإعداد غيبي، ولولاه لما عرفنا الصواب من الخطأ، والحق من الباطل، والصحيح من الزائف والسقيم.

يقول الشيخ الرئيس إبن سينا: (والاستخلاف بالنّص أصوب، فان ذلك لا يؤدّي إلى التشعّب والتشاغب والاختلاف)[1].

فمصالح الاسلام والمسلمين كانت تكمن في تعيين الإمام والخليفة من بعد الرسول ﷺ، لا تفويض الأمر إلى الأُمّة والشورى وترك الأمر للظروف والصُّدف، لترسيه على أي شاطئ تختاره.

فما حدث بعد النبي ﷺ لا يتوافق مع الموازين العقلية والشرعية، وإلّا كيف تولّى الأُمّة رجلاً يقول «ولّيتكم ولست بخيركم فان إستقمت فأعينوني، وإن زغت فقوّموني، وإنّ لي شيطاناً يعتريني» فمثل هذا لا يصلح أن يكون إماماً، بل يكون مأموماً، وتصبح الرعية حينئذٍ إماماً والإمام مأموماً، فما لكم كيف تحكمون.

وما أروع ما يقول الشاعر الملهم ابن حماد العبدي:

---

(١) الشفاء ٢: ٥٥٨ ـ ٥٦٤.

وقالوا رسول الله ما إختاره بعده إماماً ولكنّا لأنفسنا إخترنا

أقمنا إماماً إن أقام على الهدى أطعنا وان ضلّ الهداية قوّمنا

فقلنا إذاً أنتم إمام إمامكم بحمد من الرحمن تُهتم وما تهنا

ولكنّنا إخترنا الذي إختار ربّنا لنا يوم خمٍّ ما إعتدينا ولا جُرنا

ثم النصوص التاريخية تشهد إنّ الرسول الأكرم ﷺ خيّب آمال الطامحين في تولّي الخلافة من بعده، وقالها تكراراً ومراراً، إنّ أمر الخلافة بيد الله، يعني لا بيدي ولا بيد الناس، كما قال ﷺ في جواب كبير بني عامر في موسم الحج: (الأمر إلى الله يضعه حيث يشاء)[1]. كما قال سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2].

كما كان المرتكز والرأي السائد عند المسلمين هو الاستخلاف بالعهد، كما فعل أبوبكر في استخلاف عمر، وفعل عمر في استخلاف الستّة، والعجيب إنهما يستخلفان من بعدهما، ولا يستخلف النبي من بعده، بل ترك الأُمّة بلا قائد ولا راع، كل يجرّ النّار إلى قرصه، حتى تسلّط البعض بالشغب واللّغط والضرب والشتم والقتل والارهاب والارعاب وغير ذلك، من الأُمور التي تجعل الخلافة بعيدة كل البعد عن الشورى والانتخاب السليم.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢: ٤٢٤.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

كما إنّ مقتضى الكتاب والسّنة بل صريحهما في صيغة الخلافة والقيادة بعد رسول الله ﷺ هو التنصيص لا التفويض إلى الأُمّة، ولا ترك الأمر إلى الظروف والصدف والحوادث غير المتوقعة.

وما أكثر النصوص الدينية في سُنّة النبي ﷺ تنص على الخليفة من بعده، فانّه بدء بذلك منذ اليوم الأول من دعوة الاسلام، وفي حديث الدار وإنذار العشيرة والأقربين، وبعد اللتيّا والتي أخذ رسول الله ﷺ بيد أمير المؤمنين علي عليه السلام وقال: إنّ هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا[1].

ثم وردت الأحاديث النبوية واحدة تلو الأُخرى، كحديث المنزلة، وحديث الثقلين، والطائر المشوي، والمئات من الأحاديث التي تنص على ذلك، ومنها (حديث الغدير) وأخيراً: (حديث الدار) أيضاً عند مرض رسول الله ﷺ.

فالنبي محمد ﷺ بدء رسالته الالهية المحمدية بعلي عليه السلام كما ختمها بعلي عليه السلام ليعلن لامّته إلى يوم القيامة، أنّ الخلافة الحقّة والإمامة الصادقة بنص من الله ورسوله، إنّما هي لعليّ عليه السلام ولأولاده المعصومين من بعده، وإنه من الاسلام بمنزلة القطب من الرحى، فهو الحق ومع الحق وأينما دار يدور الحق معه، وهو قطب الهداية

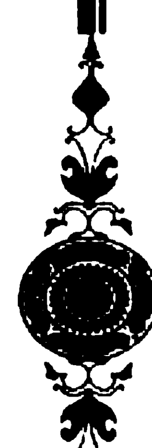
---

(١) مسند أحمد: ١: ١١١؛ تاريخ الطبري: ٢: ٦٢ وتاريخ الكامل: ٢: ٤٠ وغير ذلك.

ومحور الدين الحنيف، والصراط المستقيم، والعروة الوثقى، وكلمة الله العليا، والنبأ العظيم، وباب الله المؤتى، وسفينة النجاة، من ركبها نجى وسعد، ومن تخلف عنها شقىٰ وغرق.

لقد دلّت الأحاديث الكثيرة والمتواترة، صحيحة السند واضحة الدلالة، أنّ الزعامة السياسية والدينية والخلافة بعد رسول الله انّما تتمثل في أمير المؤمنين عليه السلام وعترته الأئمة المعصومين الأطهار عليهم السلام ولا غير. فلابد للمسلم أن يرجع اليهم في معالم دينه، ويأخذ عنهم أُصوله وفروعه وسلوكه، وإنّ المفزع والمرجع بعد رسول الله كتاب الله وعترته الأطهار عليهم السلام كما في حديث الثقلين والسفينة، ولا يزال الاسلام عزيزاً، وإنّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، كلّهم من قريش[1].

فالتمسك بالثقلين: القرآن الكريم والعترة الطاهرة يعصم من الضلالة، ولا يغني أحدهما عن الآخر، بل هما: القرآن الصامت والناطق من الواحد الأحد جلّ جلاله، فأحدهما يدل على الآخر،



(١) صحيح البخاري: ٩: ١٠١، كتاب الاحكام، الباب ٥١ وصحيح مسلم: ٦: ٣ وصحيح أبي داود: ٢ كتاب المهدي وصحيح الترمذي: ٢: ٤٥ ومسند أحمد: ٥: ٨٦ والمستدرك على الصحيحين: ٣: ٦١٧ والصواعق المحرقة وتاريخ بغداد: ١٤: ٣٥٢ ومنتخب كنز العمال وتاريخ الخلفاء. وهذا في جملة من كتب الجمهور من أهل السنة والجماعة، فضلاً عمّا ورد في كتب أصحابنا الإماميّة، وإنّما ننقل عنهم لقاعدة الإلزام (الزموهم بما التزموا به) فلا تغفل فإنّه من الجدال بالأحسن.

وعندهم علم القرآن، ويحرم التقدّم عليهم، فان المتقدّم عليهم مارق عن الدين، والمتأخر عنهما زاهق، واللازم لهما لاحق، وهما مستمران إلى يوم القيامة، ولن يفترقا في كل شيء، أحدهما عدل الآخر وشريكه.

فالرسول الأعظم ﷺ أدى ما عليه من المسؤولية في تعيين الخليفة من بعده، فقام بنصب الإمام والخليفة من بعده بأمر من ربّه، وبلّغ ما أُنزل إليه، وعيّن خليفة المسلمين تعييناً شخصياً بغدير خم وفي مواطن كثيرة، كما أنزل الله في علي وعترته عليهم السلام الكثير من الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[1] فانها نزلت في علي عليه السلام وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[2] نزلت في علي وأهل بيته أصحاب الكساء عليهم السلام وآية المودّة والمباهلة والنور وغيرها، فالذكر الحكيم يواكب السّنة في تعيين مصير الأُمّة الاسلامية في مجال الخلافة والقيادة الحقّة، فان الله سبحانه ألقى زعامة الأُمّة ورياستها في الدين والدنيا بعد رسول الله ﷺ إلى أميرالمؤمنين علي عليه السلام، ثم أولاده المعصومين،

---

(١) المائدة: ٥٥.

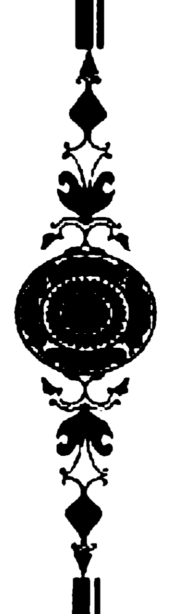
(٢) الاحزاب: ٣٣.

آخرهم الإمام المنتظر المهدي الموعود، القائم من آل محمد عليهم السلام، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

وإنّما أعرض الجمهور عن هذه النصوص الواضحة والبراهين الساطعة والأدلة القاطعة، وإجتمعوا في سقيفتهم والرسول لمّا يدفن، حرصاً على دنياهم، وطمعاً فيها، وحبّاً للجاه والمقام والملك والرئاسة، حتى قال قائلهم وشيخهم: تلاقفوها بني أُميّة كالكرة، فلا خبر جاء ولا وحي نزل!!

وقال يزيدهم: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل.

فأصاب الأُمّة الاسلامية الانحطاط والانشقاق والنّفاق، يتلوها الويلات والحسرات...



وقفة متأمّل منصف

لا يخفى أنّ طرح مثل هذه المباحث الاصولية والعقائدية لا يتنافى مع الوحدة الاسلامية التي تعني وحدة الجبهة والصف أمام العدو المشترك، فالوحدة الاسلامية لا يقصد منها أنّ تتخلّى كل واحد عن معتقداته على حساب الآخر، فهذا ممّا لا يتحقّق أبداً، بل المقصود فتح المجال لعرض المشتركات بين المذاهب ثم بيان الحقائق، ثم الوحدة على مستوى الجبهة بأن تلتقي المذاهب والجماعات المختلفة بما عندهم من مشتركات في صفٍ جبهوي واحد أزاء العدو المشترك، مع ما بينها من إختلاف في الايديولوجيا والفكر والمنهج والمسلك والأسلوب والطريقة، فطرح الوحدة الاسلامية لا يستوجب التقصير في إعلان الحقائق والدفاع عن المسلك الذاتي الذي يعتقد بصحته لما عنده من الأدلّة والبراهين، فيدعو غيره أن يلتحق به من دون إثارة عواطف الطرف المخالف وتأجيج

نار العصبية، بل الحاكم في الصراعات الفكرية والعقائدية بين المسلمين، هو المنطق العلمي الرصين والبحث السليم والحوار الهادئ والهادف، ولا شأن له بالعواطف والأحاسيس.

وخير إمام في الوحدة الاسلامية هو أميرالمؤمنين علي عليه السلام نفسه، فانه مع حفظه على الوحدة بين المسلمين كان يظهر حقّه، ويطالب به، ولم يمتنع من التشكّي ممّن غصبوه هذا الحق، بل كان يظهر ذلك بمنتهى الصراحة كما في خطبته الشقشقية في نهج البلاغة، فراجع.

وقال في مقام بيان التظلمات مع حفظ الوحدة الاسلاميّة: «قد جرت أُمور صبرنا فيها، وفي أعيننا القذى، تسليماً لأمر الله تعالى فيما امتحننا به رجاء الثواب على ذلك، وكان الصبر عليها أمثل من أن يتفرّق المسلمون وتُسفك دماؤهم».

وفي خطاب آخر قال عليه السلام: «وأيمُ الله لو لا مخافتي الفرقة بين المسلمين وأن يعود أكثرهم إلى الكفر ويعَورَ الدّني، لكنّا قد غيّرنا ذلك ما إستطعنا»[1].

ثم الإمامة عند الشيعة أُعدّت من أُصول دينها ومذهبها، وإعتبرها العامة من الفروع، والسرّ في ذلك إنّ الشيعة تنظر إلى الإمامة ليس بمعناها اللغوي، وإنّها قيادة سياسية ومرجعيّة دنيوية وحسب، بل

---

(١) الارشاد: ١: ٢٤٩ و٢٤٦.

ترىٰ ان لها أدواراً ومفاهيم أُخرى أكبر دائرة، كالمرجعية الدينيّة والعلمية والولاية التشريعيّة والإمامة التكوينيّة.

والإمام في معناها اللغوي لا ينطوي علىٰ مفهوم مقدس، بل بمعنى الشخص المتقدّم علىٰ جماعة والمتقدى به، والمؤتم به ويكون رئيساً كما يقال إمام المسلمين، سواء أكان عادلاً ينهج صراطاً سوياً، أم ضالاً يهوي الباطل والظلم والجور، وقد اطلق القرآن الكريم الإمام على المعنين في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[1] ﴿أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾[2].

فأبناء العامة يتفقون مع الشيعة في مفهوم أصل الإمام بمعنى رئاسة الاجتماع، إلّا إنّهم يختلفون في كيفيتها ونطاقها وشكلها، وشخص الإمام نفسه.

فالإمامة عند الشيعة تعني إمتداد خط النبوة وحفظ الرسالة وتبليغها، وإشغال مناصب النبي من القضاء والرئاسة العامة، فالإمام لا يختلف عن النبي في مقاماته ومسؤولياته إلّا النبوة والوحي، فانه لا يوحى إليه ولم يكن نبياً، إلّا إنّه يأخذ العلم من الله سبحانه، بنكت في القلب أو تقريع في الأسماع، فتكون علمه من

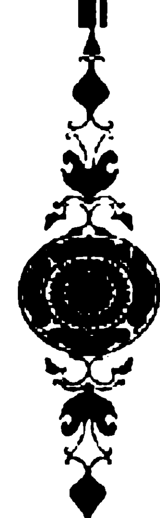
---

(١) الأنبياء: ٧٣.

(٢) القصص: ٤١.

لدن حكيم.

ثم الرسول الأعظم محمد ﷺ قد أشار في مواطن عديدة إلى دور الأئمّة الاثني عشر في رياستهم الدنيوية السياسية، ومرجعيتهم ورئاستهم الدينية والعلمية، كما للإمام دور آخر أهم من الدورين، إلّا وهو تحمّل الولاية العظمى والحجية الكبرى للعالم كلّه، وإنّهم أمان لأهل الأرض والسماء، فانه حجة الله على الخلق كما عند المتكلمين، وورد في الأحاديث الشريفة كقوله: «**لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها**» ويسمى عند العرفاء بقطب عالم الامكان، وبالإنسان الكامل وجامع الجمع، فلا تخلو الأرض والسماء منه، ولا يخلو الزمان والمكان من الحجة المعصومة مطلقاً، وإلى الدورين الاولّين يشير الشهيد الصدر﵀ قائلاً: «لأن رسول الله ﷺ لم ينصب علياً مرجعاً أعلى للمسلمين من بعده على الصعيد الإجتماعي فقط، بل نصّبه مرجعاً أعلى على الصعيد الإجتماعي والصعيد الفكري معاً ». فهناك مرجعيتان أسندتا إلهيّاً ونبويّاً إلى الإمام علي ﵇: إحداهما المرجعية الإجتماعية للأُمّة التي تجعل للإمام القيادة الفعليّة للمسلمين في مجالات حياتهم الإجتماعية، والأُخرى المرجعيّة الفكرية والتشريعية للأُمّة التي تجعل من الإمام المصدر الأعلى بعد كتاب الله وسنة رسوله، لكل ما يشتمل عليه



الاسلام من أحكام وتشريعات وقيم ومفاهيم، وقد كان أروع تعبير نبوي عن المرجعيّة الأولى حديث الغدير، وعن المرجعية الثانية حديث الثقلين.

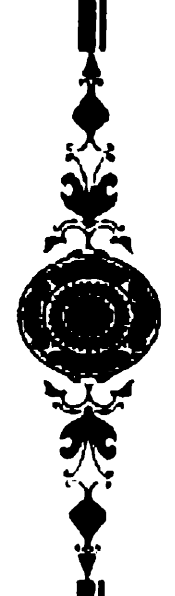
فالامامة أساس الاسلام وتالي تلو النّبوة، لولاها لضاع الدّين، ولمحيت آثاره ورسومه ومعالمه، وقد أجاد السابقون في بحوثهم العقائدية في الإمامة، وأبانوا الحق والحقيقة، وازاحوا الشكوك وغبار الشبهات بمناهج علميّة عديدة، ودراسات معمّقة ومختلفة، فمنهم من نهج المنهج الكلامي عبر أدواته وأدلته، ومنهم من إختار المنهج النصوصي، وبعضهم عالج الموضوع بالأسلوب العقلي، ومن المعاصرين من تعرّض إليها من خلال النظرات الإجتماعية، ومنهم الرياضية والفيزياوية على إن الإمامة سُنّة تكوينية، لا تنحصر بالانسان بل لكلّ مخلوق إمام، وهذا من النظام الأتم والحُسن والعدل الطبيعي والفيزيقي.

ثم الاختلاف بعد رسول الله محمد ﷺ إنّما كان عن النبي لا فيه ـ كما قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام في جواب اليهودي حيث قال: (ما دفنتم نبيكم حتّى إختلفتم فيه) فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام: إنّما إختلفنا عنه لا فيه، ولكنّكم ما جفّت أرجلكم من البحر حتّى قلتم لنبيكم: إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، فقال: إنكم قوم تجهلون.

فالاختلاف كان عن أمر قد وصلنا بعد النبي من جهة نصّه على خليفة، أو فوّض ذلك للناس لتختاره وننتخبهُ ؟

فجمهور العامة يقولون بالثاني ، واما الشيعة فتقول بالنّص، وهذا هو جوهر الخلاف بين المذاهب، وأنه من مات ولم يعرف امام زمانه، أو لم تكن في رقبته بيعة إمام مات ميتة الجاهلية، ميتة الكفر والشرك والضلال.

فالامامة الحقة هي التي تحقق سعادة الفرد وسعادة المجتمع على الصعيدين الدنيوي والأُخروي ، ومن تخلّف عنها فانه يغرق ويهوى، ويتيه في وادي الضلالة والشقاء، ويصيبه العذاب الأليم، ونار جهنم يوم القيامة.



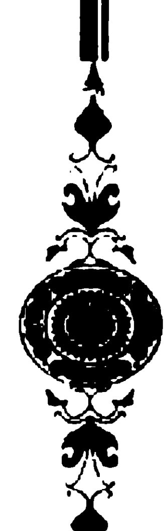
عود على بدء

الإمامة إنّما هي منزلة النّبيين وإرث المرسلين، زمام الدين ونـظام السملمين، وصلاح الدنيا وعزّ المؤمنين. إنّ الإمامة أسّ الاسـلام النامي وفرعهُ السامي ، وبـالإمام تـمام الصـلاة والزكـاة والصـيام والحجّ والجـهاد، وتـوفير الفـيء والصـدقات، وإمـضاء الحـدود والأحكام، ومنع الثغور والأطراف، وبهذا يكون الإمام كـالشمس الطالعة المجلّلة بنورها المشرق للعالم أجمع.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «اللّهمّ بلى لا تخلو الأرض من قـائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا غائباً مغموراً، لئلّا تبطل حجج الله وبيّناته».

الإمامة قضية ذات أهميّة بالغة في حياة الانسان

فالبحث عن الإمامة بحثاً موضوعياً لإقامة حجج الله وترسيم بيّناته، وليس مجرد موضوع تاريخي حتى يلزمه إستعادة الخلافات التاريخية والكلامية والتوغّل في تاريخ الفرق والمذاهب، ثم ينتهي البحث إلى المناقب والفضائل من جهة، والمطاعن والمثالب من جهة أُخرى، أو يكون من التراث المتراكم الّذي لا طائل تحته، بل الإمامة عقيدة راسخة لإمتداد خطّ النبوّة، ومعرفة الله سبحانه وتعالى، وإنّما نرجع إلى عصر النّبي ﷺ في الإمامة ونصبها لتصحيح المسير وشرعيّة العمل وتمامية الحجة لكل واحد من المسلمين في كل عصر ومصر، لاسيّما في عصرنا الراهن هذا، وفي المستقبل، مع فكرة الوحدة الإسلاميّة والحفاظ على وحدة الصّف أمام العدو المشترك كالصهانية والاستكبار والاستعمار العالمي.



وإنّما نأخذ البذور الأُولى في بحث الإمامة من السّلف الصالح، ونعيد ما هو النافع والمجدّ من ميراث الاقدمين بشيء من التطوير

والتجديد، فنحافظ على الإصالة، إلّا أنّها في إطار التجدّد والتحديث، فلا يستغني الباحث عن كتب القدماء في العقائد كالشافي للسيد المرتضى، وأوائل المقالات والنكت الاعتقادية، والافصاح، والارشاد للشيخ المفيد، وأمثالها العشرات لأصحابنا القدماء من المحدثين والفقهاء، وتلتها المئات والألوف من الكتب والرسائل والمقالات والكلمات في العقائد ومفاهيمها العامة والخاصة.

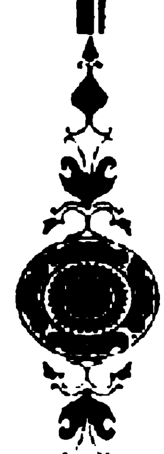
فالامامة إنّما هي قيادة سياسية وإجتماعية أولاً للدولة والأُمّة، أي إنّها مرجعية دنيوية، أو كما في مصطلح علماء الكلام: رياسة عامة في أُمور الدنيا، وإنّها كذلك مرجعية دينيّة لحفظ الدين وبيان مقاصده ودفع الشبهات والشكوك الواردة من قبل أعدائه وخصومه وأجوبه المسائل المستحدثة، كما إنّها مرجعية علميّة مثلى، ترتبط في علمها بالسماء، بنكتٍ في القلوب، أو إقراع في الأسماع، أو معاينة بتأييد من روح القدس معصومة في ذاتها، ظاهرة في وجودها، حتى لا يطرء على دين الله الانحرافات وضروب من القياس والاستحسانات الظنيّة التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا تُغني من الحق شيئاً كما أنّها حجّة وإمامة تكوينية على الخلائق والعوالم الماديّة والمجردة وماسوى الله من الممكنات

والمخلوقات.

فالإمامة وصاية وخلافة وحجة بعد النبي ﷺ، والإمام الناطق يعلم بتأويل وتنزيل الكتاب الصامت، يحفظ الشريعة ويقيم الحدود ويسدّ الثغور، يقصّر يد الظالم عن المظلوم[١].

فالامامة منصب الهي كالنبوّة يعطيه الله سبحانه من يشاء من عباده، ويثبت ضرورته ومشروعيته بقاعدتي اللطف والعدل، وإنّه يجب عنه تعالى أن ينصب أحداً من الأُمّة بعد النبي ﷺ لطفاً منه تعالى على عباده، ليبيّن لهم الأحكام والمعارف الالهية، ويفسّر لهم الكتاب والسنة ويقرّبهم من الطاعة ويبعّدهم عن المعصية بالولايتين التشريعيّة والتّكوينيّة، ولأسباب أُخرى ذكرت في محلّها.

وتجب على الناس إطاعته وولايته، فإنه مفروض الطاعة مطلقاً كالنبي ﷺ، لقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٢] وهم خلفائه الأُثنى عشر كلّهم من قريش.



ونستدل على لزوم نصب الإمام وجعله التكويني والتشريعي عن الله عزوجل بعدل الله تعالى، فان العدل هو: تنزيه الواجب جل جلاله

---

(١) إقتباس مع إضافات من علم اليقين في معرفة اصول الدين: ١: ٢١٥.

(٢) النساء: ٥٩.

عن فعل القبيح والاخلال بالواجب، وعدم نصب الإمام وتعيينه والنص عليه إخلالاً بالواجب، فيتنافى مع العدل الالهي في كل مصاديقه وموارده كالعدل التكويني : الذي بمعنى إعطاؤه تعالى كل موجود بما يستحقه ويليق من الوجود، وكالعدل التشريعي بأنه لا يهمل تكليفاً فيه كمال الانسان وسعادته وقوام حياته المادية والمعنوية، الدنيوية والأُخروية، كما إنّه لا يكلّف نفساً إلّا وسعها، وكالعدل الجزائي : بأنه لا يساوي بين المصلح والمفسد والمؤمن والكافر، بل يجزي كل انسان بما كسب، ولا يعاقب عبداً الّا بعد البلاغ والبيان، فانه يقبح عقلاً العقاب بلا بيان.

والله سبحانه منزّه عن فعل القبيح وإرادته ـ كما هو ثابت في محلّه ـ لاستحالته عليه لوجود الصارف عنه وانعدام الداعي إليه لعلمه، ولعدم وجود الحكمة في القبيح، ولغنائه سبحانه وتعالى، فتدبر.

والأئمّة من بعد الرسول المختار محمد ﷺ إثنا عشر اماماً كلّهم من قريش، أوّلهم أميرالمؤمنين علي عليه السلام، ثم السبط الحسن والحسين عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنّة، ثم زين العابدين علي، ثم الباقر محمد، ثم الصادق جعفر، ثم الكاظم موسى، ثم الرضا علي، ثم الجواد محمد، ثم الهادي علي. ثم العسكري الحسن، ثمّ القائم المهدي الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أبد الآبدين.

من أدلّة الامامة الخاصة

إعلم أنّه كان أميرالمؤمنين علي عليه السلام أعلم الناس وأفقههم وأورعهم وأفضلهم وأولهم إسلاماً، وتقديم المفضول على الفاضل قبيح عقلاً بالضرورة، كما يقبح شرعاً ونقلاً كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1].

والنصوص[2] عن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله في هذا الباب كثيرة، بلغت التواتر بأقسامه الثلاثة: اللّفظي والمعنوي والاجمالي، لا يمكن إنكارها وردّها إلّا من كان أعمى القلب والبصيرة استحوذ عليه الشيطان، فإتّخذ الهه هواه، فضّل السبيل، وكان من الظّالمين الضّالين والمضلّين، والمغضوب عليهم.



---

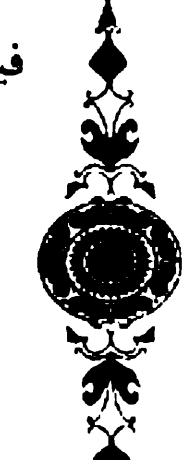
(١) يونس: ٣٥.

(٢) ذكرها علماء الاسلام بإختلاف مذاهبهم في مؤلفاتهم ومصنفاتهم بلغات مختلفة. ومن الكتب المعروفة في هذا الباب: كفاية الأثر في النص على الأئمة الأثنى عشر وكتاب إثبات الهداة.

ويشترط في الإمـام شـرائـط تكـوينية وتشـريعيّة، ومـن أهـمّها (العصـمة) الذاتية المطلقة.

ومادام العصمة فـي الإمـام أمـراً خـفيّاً ، فـلابدّ أن يكـون مـعرفته وتشخيصه بنصّ من الله وتعيين من رسوله، فنحتاج بالضرورة إلى نصّ الهي يكشف لنا عن المعصوم الذي تتحقق فيه الإ مامة، بمعناها المرجعية الدينية والعلمية والتكوينية، سواء تمكّن من المـرجـعيّة الدنيوية، كما كان في عصر خلافة أميرالمؤمنين علي عليه السلام الظاهريّة، أو لم يتمكّن، وسواء أكان ظاهراً أو مستوراً وغائباً .

فالعصمة إنما هي شرط في المرجعية الدينية والعلميّة والتكويتية، لا في الحاكم السياسي ، إنّما يكون الحاكم معصوماً إذا كان إماماً ، فبينهما عموم مطلق، فان كل معصوم هو حاكم، وليس كل حاكم معصوماً ، فنقول بعصمة الإمام مطلقاً ، وأما الحاكم فان كان إمـاماً فيشترط فيه العصمة، وإلّا فلا.



زبدة المخاض

وخلاصة الكلام: إنّ الإمامة إنّما هي رئاسة عامة في الدين والدنيا نيابة عن رسول الله ﷺ[1]، ولا تتحقق هذه إلّا في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، والنبي الأعظم محمد رسول الله ﷺ عيّن بنفسه هذه القيادة العامة من بعده، وأعلن في مواطن كثيرة منذ اليوم الأول من دعوة الاسلام وفي حديث الدار، إنّ زمام أمور المسلمين من بعده إنّما تكون بيد أميرالمؤمنين علي عليه السلام ومن بعده بيد أولاده المعصومين الأحد عشر، خاتمهم الإمام المهدي القائم المنتظر عليه السلام.

ولا يخفى أنّ المرجعية الدينية يستلزمها العلم اللّدني والعصمة الذّاتية، وبهذا يشترط في الإمام والقائد الديني (العصمة) كما يشترط فيه العلم واليقين والزهد والصبر، والشرائط العامة

---

(١) شرح الباب الحادي عشر: العلّامة الحلي.

والخاصة الأُخرى كما هي مذكورة في المفصّلات.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].

تنبيه هام:

ولا توجد هذه الشرائط فيمن يقول: (إنّ لي شيطاناً يعتريني)[2] أو قال: (حتى النساء أعلم منه)[3] أو (كل الناس أفقه منه) وقوله: (لو لا علي لهلك).

ثم الإمامة بمراحلها المتفاوتة من القيادة السياسية والإجتماعية، ثم المرجعية الدينية والعلميّة، ثم الولاية المعنوية التشريعية والتكوينيّة جاء ذكرها وبيانها في القرآن الكريم والسنة الشريفة، كما يدلّ عليها العقل السليم والفطرة الموحدّة. يقف عليها المنصف والمسلم الواعي الذي تخلّص عن العصبية، وتقليد الاباء إن كانوا في ضلال مبين.

أجل: إختلف الناس في نصب الإمام بعد رسول الله ﷺ فقال بعضهم بوجوبه عقلاً، وبعضهم بوجوبه سمعاً، أي حسب ما جاء في الآيات ودلّت عليه الروايات كابناء العامة وأكثر الجمهور. وبعضهم قالوا

---

(١) السجدة ٣٢: ٢٤.

(٢) الصواعق المحرقة: ٧ والإمامة والسياسة: ١: ٢ وشرح نهج البلاغة: ٢: ٨.

(٣) شرح النهج: ٢: ١١٣.

بعدم وجوبه مطلقاً كالخوارج.

ومن أوجبه عقلاً، إختلفوا فيه، فقال بعضهم بوجوبه من الله تعالى كالغلاة والاسماعيلية، وقال آخر بوجوبه على الله عزوجل كالشيعة الإمامية، وبعضهم بوجوبه على الخلق، كأصحاب الجاحظ وأبي القاسم البلخي وأبي الحسين البصري من المعتزلة.

وكذلك إختلف الناس في عصمة الإمام، ومن عظمة مذهب أهل البيت عليهم السلام وحقّانيته، أنّ أتباعه بما عندهم من البراهين العقلية والأدلة النقلية السمعيّة، من الآيات القرآنية والسنة الشريفة، قالوا بلزوم (العصمة) في الإمام عليه السلام، وإنّها من أهم شرائط الإمامة والخلافة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

نظرة جديدة في العصمة:

ولنا نظرة جديدة في عصمة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، بل في عصمة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وبنته البتول فاطمة الزهراء سيدة النساء عليها السلام فنسلط الضوء على العصمة بثوبها الجديد، إلّا إنه مع رعاية الاختصار والايجاز.



وعند القدماء: الإمامة: رياسة عامة دينية مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدنياوية، وزجرهم عمّا يضرّهم بحسبها.

وبعبارة أُخرى: هي رياسة عامة في أمور الدين والدنيا، لشخص إنساني بحق النيابة عن النبي ﷺ ويشترط في التعريف التام ان يكون جامعاً لأفراده، ومانعاً من الأغيار، فما يذكر فيه من القيود تكون إحترازية لإخراج الغير.

فالتقييد (بالرياسة) فإنه قد أخرج الجمهور والرعية وعامة الناس، وبـ«العامة» أخرج مثل ولاية القضاة والنواب فرياستهم خاصة و(الدين والدنيا) بيان لمتعلق الرياسة، فإنّها كما تكون رياسة في الدين كذلك في الدنيا، وكونها (لشخص إنساني) إشارة إلى أن مستحقها شخص معين منصوب ومنصوص عليه من الله سبحانه وبنصب من رسوله، ولا يكون أكثر من واحد في عصر واحد، وأما قولهم: (بحق النيابة عن النبي) فاخرج به النبوة، فان لها ما تقدم من التعريف إلّا إنّها ليست بحق النيابة عن النبي الأعظم محمد ﷺ.

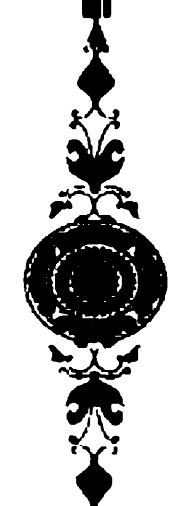
ويدل على وجوبها كما ذكرنا قاعدة اللطف والعدل: فان الإمامة لطف وكل لطف واجب عن الله تعالى، فالإمامة واجبة عن الله تعالى.

بيان ذلك:

امّا إثبات الصغرى (الإمامة لطف) فإن تعريف اللطف: (ما يُقرّب العبد من الطاعة ويبعّده عن المعصية لا إلى حدّ الإلجاء والقر) وحينئذٍ يكفيك أن ترىٰ الفتن التي جرت على المسلمين بعد رسول الله ﷺ عند ما اخترقوا الحدود الالهية وتعدّوها

وتجاوزوها، كما أنّ العاقل لا يجادل في ضرورة وجود مرشد للأُمّة يردع الظلم ويردّ الحقوق ويوحّد الصفوف، ولو لا ذلك لوقع الهرج والمرج في الأُمّة. وإحتارت في معرفة الحق من الباطل، فأي لطف حينئذٍ أجلى وأتم من تنصيب الإمام الّذي لا يحيد عن الحق طرفة عين أبداً، لعصمته الذاتية، ولا تأخذه في الله لومة لائم لكماله وأفضليته على الخلق.

وجعل الإمامة الحقّة شورى بين المسلمين، يؤدي إلى نفس الضرر الذي من أجله كانت الإمامة، أي لرفع الإختلاف في النفوس والأهواء، فكلّ يجرّ النار إلى قرصه، وما حدث في السقيفة تعدّ وتجاوز لحكم الله ولوصية النّبي ﷺ كما حصل مع سائر الأنبياء السابقين، فما فعله الله سبحانه من اللطف قد تمّ، إلّا ان الناس أضلّهم السامري، فانقلبوا على أعقابهم، إلّا القليل ممّن وفى لرعاية الحق فيهم، فقتل من قتل، وسُبي من سُبي، وجرى القضاء بما لا يرجى له حسن المثوبة.



أجل: ان النبي الأعظم ﷺ الذي أولى عنايته بكل صغيرة وكبيرة. فعلّم أصحابه بكل شيء حتى آداب الطعام والشراب والنوم وأحكام الإستنجاء، بل وكتابة الوصية الشخصيّة ووضعها تحت الرأس، ولم يترك المدينة المنورة حين خروجه للحروب والغزوات إلاّ وأن نصب عليها من يستخلفه، فكيف له أن يهمل أُمّته ويترك أخطر قضية مصيريّة تهدّد أركان الإسلام ولم ينصب اماماً وخليفة

من بعده؟!

وقد علم ما سيحدث من بعده من نزاعات قبليّة وإنقلابات فكـريّة وسلوكية، خاصة كان بعضهم جديد العهد بالاسلام، قال سـبحانه وتعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1].

نزلت هذه الآية الكريمة أثر إشاعة مقتل النبي ﷺ في أُحد، حيث فـرّو إنكـفأ النـاس عـنه، ولم يـبق مـعه إلّا القـليل ممّن وفـى، كأمير المؤمنين عليه السلام وأبـي دجـانة الأنـصاري، وقـال البـعض مـن الأصحاب: ليتنا نجد من يأخذ لنا الأمان من أبـي سـفيان، وقـال آخرون: لو كان محمد نبيّاً لم يقتل، الحقوا بدينكم الاوّل.

فلابدّ حينئذ إنّه قد أوصى الرسول الأعظم ﷺ بالخليفة مـن بـعده شأن جميع الأنبياء الذين لم يتركوا أمّتهم من دون وصـي وخـليفة وإمام على الناس، ليصطادهم الشيطان بمكائده وتسويلاته، حتى يلزمه أن يضحّوا بكل ما بذلوه من أجل رسالاتهم، فهذا ما لا يرضى العقل والوجدان والشريعة السمحاء، وهذا أبعد ما يكون عن حكمة المعصوم ولطـف الله وعـدله... فـما لهـم كـيف يـحكمون... أفـلا يعقلون؟!!.....

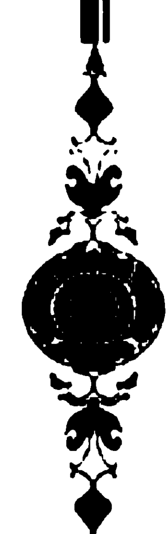
---

(١) آل عمران: ١٤٤.

العصمة لغةً ومصطلحاً

من دأب وديدن العلماء الأعلام إنّهم في طليعة بحوثهم العلميّة حول موضوع خاص. أن يشرحوا ويبيّنوا معنى ومفهوم ذلك الموضوع أوّلاً، وذلك أوّلاً: باعتبار معناه اللغوي، وما وضع في اللغة بدواً، ثم ثانياً: معناه المصطلح الذي أُخذ ونقل بأخذ عام أو خاص أو مباين من المعنى اللغوي، ليكون به معنى جديد في المصطلح الخاص باعتبار العلوم والفنون، ومن هذا المنطلق نقتدى بمنهجهم ونقول:

العصمة لغةً: من العصم: بمعنى الاستمساك والمنع والحفظ والوقاية والاعتصام والاستمساك، قال تعالى: ﴿لا عاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ﴾ أي لا شيء يعصم منه، ومن قال معناه لا معصوم فليس يعني ان العاصم بمعنى المعصوم، وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك، وذلك ان العاصم والمعصوم يتلازمان، فاينما حصل أحدهما، حصل معه الآخر.



وإعتصم بالله: أي امتنع بلطفه عن المعصية، والعاصمة لقب المدينة،

قاعدة البلاد، والمعصم موضع السور من الساعد[١].

والعصمة بالكسر ـ المنع.

قال شيخنا المفيد في كتابه: «اوائل المقالات: ١١»: إن العصمة في أصل اللغة هي ما اعتصم به الإنسان من الشيء، كأنّه إمتنع به عن الوقوع في ما يكره، ومنه قولهم: اعتصم به الإنسان من الشيء، كأنّه إمتنع به عن الوقوع في ما يكره، ومنه قولهم: (اعتصم فلان بالجبل) إذا امتنع به، ومنه سميت: العصم وهي وعول الجبال لامتناعها بها قال إبن فارس: (عصم) أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كلّه معنى واحد، ومن ذلك: (العصمة) أن يعصم الله تعالى عبده عن سوء يقع فيه، (واعتصم فلاناً) أي هيّأت له شيئاً يعتصم بما نالته يده. أي يلتجئ ويتمسك به[٢].

وقد استعملت لفظة (العصمة) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضع، وليس لها إلّا معنى واحد وهو الإمساك والمنع، ولو استعملت في موارد مختلفة فإنّما هو بملاحظة هذا المعنى الواحد.

---

(١) المنجد (عصم) وقاموس المحيط (عصم).

(٢) المقاييس ٤: ٣٣١.

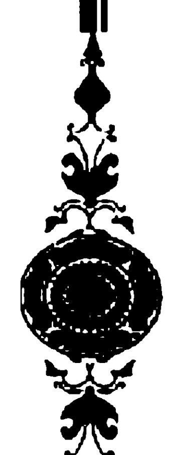
فإذا أمر الله سبحانه بقوله ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [1] فان المراد منه الأخذ به بشدة وقوة فيدلّ على الإمساك والتحفظ، وإذا قال سبحانه في قصة يوسف ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسَتَعْصَمَ﴾ [2] فمعناه المنع والامتناع، والكل يرجع إلى معنى واحد.

والعصمة: مصطلحاً: أي في المصطلح العقائدي وعند علماء الكلام هي: ملكة إجتناب المعاصي والخطأ، وعصمة الأنبياء حفظهم إياهم أوّلاً بما خصّهم عن صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل الجسميّة والنفسيّة، ثم بالنّصرة وبتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وبحفظ قلوبهم بروح القدس وبالتوفيق.

وقيل في تعريف العصمة: هي قوة نورية ملكوتية تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ، حيث لا يترك واجباً ولا يفعل محرّماً، مع قدرته على الترك والفعل، وإلّا لم يتحقق مدحاً ولا ثواباً.

وإنّ شئت قلت: إن المعصوم قد بلغ من التقوى حدّاً لا تتغلّب عليه الشهوات والأهواء، وبلغ من العلم في الشريعة وأحكامها مرتبةً لا يخطأ معها أبداً.

فالعصمة في المعصومين من الأنبياء والأوصياء تعني المنع من



---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) يوسف: ٣٢.

إرتكاب المعصية، والوقاية من كل رجس ورجز وشين وسهو ونسيان وخطأ.

قال شيخنا المفيد ﷺ: «والعصمة من الله هي التوفيق الّذي يسلّم به الإنسان في ما يكره إذا أتى بالطاعة، وذلك مثل إعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً ليتثبت به فيسلم، فهو إذا أمسكه واعتصم به، يسمى ذلك الشيء عصمة به، لما تشبث به فسلم به من الغرق، ولو لم يعصتم به لم يسمّ عصمة.

وقيل: المراد من العصمة صيانة الإنسان من الخطأ والعصيان، بل الصيانة في الفكر والعزم، فالمعصوم المطلق من لا يخطأ في حياته، ولا يعصى الله في عمره، ولا يريد العصيان ولا يفكّر به[1].

وقال الفاضل المقداد ﷺ في «ارشاد الطالبين إلى نهج المسترشدين: ٣٠١» (العصمة عبارة عن لطف يفعله الله في المكلّف بحيث لا يكون له مع ذلك اللطف داع إلى ترك الطاعة، ولا إلى فعل المعصية مع قدرته على ذلك، ويحصل انتظام ذلك اللطف بأن يحصل له ملكة مانعة من الفجور والإقدام على المعاصي، مضافاً إلى العلم بما في الطاعة من الثواب، والعصمة من العقاب، مع خوف المؤاخذة على ترك الأولى، وفعل المنسي).

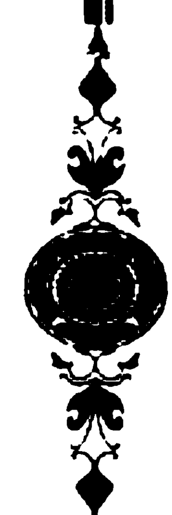
---

(١) عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: ٨، المحقّق الشيخ جعفر السبحاني.

وعرّف علماء الكلام: العصمة على الإطلاق، بأنّها قوّة تمنع الإنسان عن إقتراف المعصية والوقوع في الخطأ.

وقيل: العصمة هي لطف خفيّ ـ لا يدركه عامة الناس ـ يفعله الله تعالى بالمكلّف، بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وإرتكاب المعصية مع قدرته على ذلك.

فان المعصوم له القدرة على فعل المعاصي وليس مجبراً على تركها، إلّا إنّه يتركها لعلمه بمنشأ الذنوب وآثارها، ولزهده في الدنيا، ولصبره على طاعة الله، فيجتنب كل ما يشين به لعلوّ مقامه ونورانية علمه، وإذا إختاره الله واصطفاه للنبوة وإجتباه للإمامة، فانه وهبهم العصمة، لإطلاعه تعالى على حسن سريرته، وكمال ذاته، وجميل مآله ورفيع إخلاصه في كلّ عوالم وجوده في قوسي النزول والصعود.



أقول: إنّ العصمة من المقول التشكيكي ذات المراتب الطولية والعرضية (العمودية والافقيّة)، فما به الامتياز عين ما به الاشتراك، وبالعكس كالنور والوجود، وإنّما الاختلاف بالشدّة والضعف.

ومن مراتبها الأولى: ما يجده كل واحد منّا بالوجدان، إنّه يمتنع عن خروجه في الملأ العام عرياناً، إلّا إذا كان مجنوناً، أو تغلبت عليه الشهوة الحيوانية كما في الغرب. فالعاقل يعصم نفسه عن ذلك وإن

كان قادراً عليه ومتمكناً منه.

وإنّما يمنع نفسه عن ذلك للعلم القطعي بقبحه ومبغوضيّته، وإنّه يوجب الانحطاط والسقوط. وكلّما إزداد الانسان معرفة في قبح الذنوب والمعاصي والآثام، فانه يزداد عصمةً ووقاية ويحصّن نفسه، ويمنعها من الارتكاب، وإن كان قادراً على الفعل.

ومن هذا المنطلق ورد في الحديث الشريف: (ثمرة العلم العصمة) كما إنّ ثمرة الصبر والزهد في الدنيا هي العصمة أيضاً. فان (حبّ الدنيا رأس كل خطيئة)، فمن زهد فيها، وصبر عليها. فانّه يعصم نفسه من زخارفها وشبهاتها وحرامها.

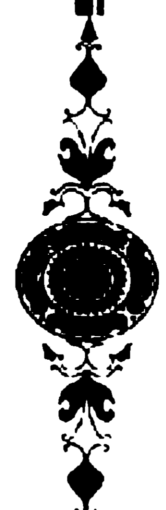
ولا يدخل في مفهوم العصمة سلب القدرة من المعاصي، ولا يكون المعصوم مضطراً إلى فعل الطاعات، فانّ ذلك يستدعي بطلان الثواب والعقاب، كما إنّ الله معصوم عن القبائح، أي لا يفعل القبيح، ولا يريده ـ كما هو ثابت في علم الكلام ـ في عين انّه مختار، فالعصمة الذاتية لا تتنافى مع الاختيار، فتدبّر.

وأعلى مراتب العصمة: هي العصمة الذاتية الكلّية المطلقة، كما سيأتي تفصيله.

ثم العصمة في الأنبياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام هي الدرجة القصوى من التقوى، الّتي هي حالة نفسانية تعصم الإنسان عن

اقتراف الذنوب والقبائح، وإذا بلغت القصوىٰ منعته عن جميع قبائح الأفعال وذمائم الاخلاق على وجه الإطلاق، بل تمنعه حتّى ان لا يفكر بالمعصية فيصرف عنه السوء والفحشاء، كما كان ليوسف الصديق عليه السلام ومراودة زليخا إيّاه. فالعصمة ملكة نفسانية راسخة في النفس، لها آثارها الخاصة، كما لكلّ الملكات آثارها الخاصة بها، وإذا كانت العصمة من سنخ التقوى جاز تقسيمها إلى المطلقة والنسبيّة، والأُولى في الأنبياء والأوصياء، والثانية في الأولياء والصلحاء وسائر الناس.

كما إنّ العصمة عند بعض: هي نتيجة العلم القطعي بعواقب الذنوب والمعاصي ، فمن عرفها حق المعرفة عصم نفسه عنها، كمن عرف انّ السّلك الكهربائي لو مسّه لمات، فانه يمنع نفسه عن مسّه، ومن عرف ان الاناء فيه سمّ قاتل، فانّه لا يقدم عليه، فيعصم نفسه منه، وهذا من الأمر الوجداني البديهي.



قال الفاضل المقداد في كتابه القيم «اللوامع الإلهية: ١٧٠» (ولبعضهم كلام حسن جامع هنا قالوا: العصمة ملكة نفسانية يمنع المتصف بها من الفجور مع قدرته عليه، وتتوقف هذه الملكة على العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، لإنّ العفّة متى حصلت في جوهر النفس وإنضاف إليها العلم التام بما في المعصية من

الشفاء والطاعة من السعادة، صار ذلك العلم موجباً لرسوخها في النفس فتصير ملكة).

ومن الأعلام من أرجع العصمة إلى الاستشعار بعظمة الله وجلاله وكماله، فيتفانى في معرفته وحبّه، حتّى يصدّه عن سلوك ما يخالف رضاه سبحانه.

ولا يخفى انّه لا تنافي بين هذه الأقوال الثلاثة: بل يرجع إلى حقيقة واحدة مع الاختلاف في البيان؛ وإنّما ترجع إلى العصمة عن الذنوب كما انّ المعصوم معصوم عن الخطأ أيضاً في حياته الفردية والإجتماعية، فإنّه مسدّداً بروح القدس، كما ورد في جملة من الأخبار المعتبرة المفيد للقطع، لكونها متواترة إجمالاً، بل من المتواتر المعنوي.

ثم العصمة من المواهب الإلهيّة والألطاف الخفيّة والجليّة، لمن كان من أهل العصمة بوجود قابلية وأهليّة لإفاضة العصمة عليه.

قال شيخنا المفيد ﷺ: «العصمة تفضل من الله على من علم أنّه يتمسك بعصمته»[1] وقال: «العصمة من الله تعالى هي التوفيق الّذي يسلم به الإنسان مما يكره إذا أتى بالطاعة».

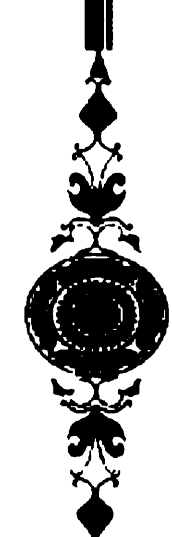
وقال سيّدنا المرتضى علم الهدى ﷺ في أماليه: «العصمة: لطف الله

---

(١) شرح عقائد الصدوق: ٦١، عند عصمة الأنبياء في القرآن الكريم: ٢٩.

الّذي يفعله تعالى، فيختار العبد عنده الامتناع عن فعل قبيح» إلّا انه بشرط ان لا ينتهي ذلك إلى حدّ القهر والالجاء، بل يمكنه ان يفعل المعصية، فإعمالها بان يتمسك بها المعصوم فيبقى معصوماً من المعصية، إنّما هو بإرادة واختيار المعصوم، وهناك تعاريف أخرى للعصمة كقولهم: «العصمة: لطف يفعله الله بالمكلّف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية لانتفاء داعيه، ووجود صارفه مع قدرته عليها» وقال سيّدنا العلّامة الطباطبائي، في تفسيره (الميزان) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] إن الله تستمر إرادته أن يخصّكم بموهبة العصمة بإذهاب الاعتقاد الباطل وأثر العمل السيّء عنكم أهل البيت، وإيراد ما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة[2].

فالعصمة موهبة كما يظهر ذلك من آيات القرآن الكريم في وصف الأنبياء ، وإنّما عصمهم لما عندهم من أرضية صالحة وقابلة لإفاضة تلك الموهبة عليهم، وتلك القابلية أما من جهة ما هو داخل في إرادة الإنسان كالمجاهدات الفرديّة والاجتماعية، فإنّ الأنبياء والأوصياء في قمة الجهاد بكلّ انواعه من الأصغر والأوسط والأكبر



---

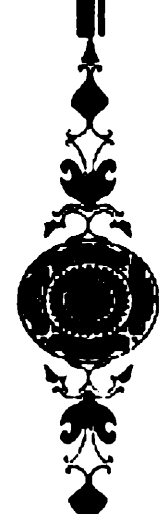
(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) الميزان ١٦: ٣١٣، عنه: عصمة الأنبياء: ٣١.

كيوسف الصدّيق عليه السلام ، ومنها ماهو خارج عن إرادته كالعوامل الوراثية والتربوية، كالبيوت الطاهرة والأرحام المطهرة، التي يولد فيها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، فاختبرهم الله سبحانه وعلم منهم الوفاء ـ كما في دعاء الندبة ـ فعصمهم وأعطاهم العلم اللّدني ، فإنهم بفطرتهم وقابلياتهم كانوا من عباد الله المخلصين ـ بفتح الّلام ـ فاستخلصهم الله بخالصة ذكرى الدار، ثم سبحانه يفعل ما يشاء بحكمته، وإنّه يسأل ولا يُسأل، فشاءت حكمته أن يصطفى من خلقه عباداً يكرمهم بالعصمة الذاتية الكليّة، لما علم منهم في العوالم السابقة كعالم الذّر والميثاق، اختيار طاعته بإخلاص تام، وترك معاصيه والقبائح عن حريّة وإختيار.

ثم العصمة لا تسلب الاختيار والإختبار حتّى يقال كيف يمدح عليها، بل هو مختار في الفعل والشرك، وان وهبه الله العصمة، فانه كمن يهب العقل ويعلم العاقل ان لمس السّلك الكهربائي يكون سبباً في هلاكه وموته، فإنه وان يمتنع عن اللّمس عقلاً وعقلائياً وشرعاً، فإنه يحرم عليه أن يلقى بنفسه إلى التهلكة، إلّا انه ذلك لا ينافي إختياره وحريّته، فيمكنه أن يمسّ السلك الكهربائي مع وجود عقله، فينتحر ومن ثم يعاقب على ذلك، ولو لا وجود العقل لما صحّ العقاب منه، فالعمل ممكن الصدور بالذات من العاقل، إلّا

انه ممتنع الصدور بالعرض، فليس صدوره ممتنع ومحال ذاتاً وعقليّاً، فالمعصوم قادر على المعصية لإختياره وقدرته، إلّا انه لكونه في أعلى درجات التقوى والعلم بعواقب المعصية، ورؤية جمال الله وكماله لا يفعل المعصية، ومثله كمثل الوالد الحنون الّذي لا يقدم على قتل ولده مع التمكن منه، فالعصمة لا تغيّر الطبيعة الانسانية المختارة في أفعالها الاختيارية، ويشهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [1] فكان بإمكانهم ان يشركوا بالله تعالىٰ إلّا ان الاجتباء أو الهدى الإلهي كان مانعاً عن ذلك. فالمعصوم ينصرف عن المعصية المعصية والقبيح والمنكر والفحشاء باختياره، وإذا نسب إلى الله، فانه كما يُنسب من لم يعصيه إلى توفيقه. فتدبّر.



(١) الأنعام: ٨٧ ـ ٨٨.

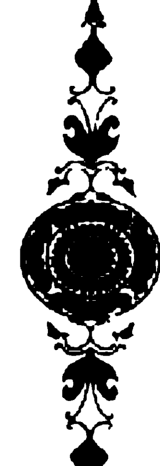
النظرية الجديدة في العصمة

لا يخفى أنّ ما أذكره من النظرية الجديدة في العصمة، إنّما إستخرجتها إستنباطاً من الآيات القرانيّة والأحاديث الشريفة، ومن عبائر علمائنا الأعلام، فلم يكن من الجديد الذي يتنافى مع القديم، ليكون باطلاً، أو قابلاً للنقاش والنقض والإبرام، فما فعلته من الإجتهاد في المسائل العقدية، كالفقيه الّذي يستنبط المسائل الفقهية من الأدلّة التفصيلية، من الكتاب والسنة والإجماع والعقل. فالعصمة بمعنى الطهارة والنزاهة والاجتناب عن الذنوب والمعاصي والنّواهي والامتناع عمّا يشين الانسان، وإنّها من المقول التشكيكي ذات المراتب الطولية والعرضية، تمتاز بالشدّة والضعف، كالنور والوجود كما ذكرنا، فأدنى مراتبها ما يعصم الانسان نفسه عمّا علم بقبحه، جازماً قاطعاً في شدة قبحه، كان يخرج عرياناً في الملأ العام، أو يأكل مدفوعه وغائطه، أو يشرب بوله، فكل واحد من العقلاء من أي مذهب ونحلة يعصم نفسه عن

ذلك، وأن يخرج إلى الشارع بادياً عورته، إلّا من كان مجنوناً أو كان كالأنعام بل أضلّ سبيلاً، كما يحدث ذلك في الغرب المستهتر.

ثم أعلى مراتب العصمة بعد عصمة الله سبحانه وتعالى هي عصمة الأربعة عشر المعصوم عليهم السلام أي رسول الله محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وفاطمة الزهراء سيّدة النساء عليها السلام وأميرالمؤمنين علي وأولادهم الأئمة الأحد عشر عليهم السلام، آخرهم المهدي المنتظر عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف، وإنّما العصمة الالهية تجلّت وظهرت فيهم، إلّا انّ الجامع لعصمة الأنبياء والأوصياء أي عصمة النبوة وعصمة الإمامة، إنما يتجلّى في فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي مظهر عصمة الله الكبرى وتجمع بين نوري النبوة والإمامة، وبهذا وغيره ذهبنا إلى رجحان الشهادة بعصمتها في الأذان والإقامة عقلاً، لا بقصد الجزئيّة، فراجع[1].

وما بينهما أي (الادنى والأعلى من العصمة) مراتب ودرجات، أهمّها، أو بالأحرىٰ أُمّهات المراتب، إنّما هي ضمن الدوائر الأربع[2]



(١) ذكرت تفصيل ذلك في (فاطمة الزهراء سرّ الوجود) و(الدرة البهية في الأسرار الفاطميّة) و(فاطمة الزهراء ليلة القدر) و(فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار) فراجع وكلّها على الموقع (علوى نت).

(٢) لقد ذكرت في مجموعة من مؤلفاتي جملةً من المفاهيم الإسلاميّة كنظريّة جديدة بإعتبار هذه الدوائر الأربع، أو التقسيم والتكثّر الرّباعي المنطلق من المفهوم الوحدوي، وهو في الواقع يرجع إلى موضوع (الوحدة والكثرة) المطروح في العرفان ←

وهي كما يلي:

١ ـ العصمة بالمعنى الأخص: وهي لخصوص الأربعة عشر المعصوم عليهم السلام لا غير.

٢ ـ العصمة بالمعنى الخاص: هي للأنبياء والمرسلين وأوصيائهم الطّيبين.

٣ ـ العصمة بالمعنى العام: كما في الأولياء والصالحين المقرّبين وفي المراجع والفقهاء العظام، فإنها قوة قدسية تمنعهم عن الذنوب والمعاصي، ودونها كما في إمام الجماعة، من إشتراط العدالة فيه بإتيانه الواجبات وترك الكبائر من الذنوب وعدم الاصرار على

ـ وغيره. وذلك إنطلاقاً من الواحد الأحد، فانه في الله سبحانه على نحو الحقيقة والوجوب الذاتي، فهو الواحد الّذي لا ثاني له، وهو الأحد الّذي لا تركيب فيه، فليس كمثله شيء، فلا تكثّر فيه في مقام الذات والصفات والأفعال، وهذا ما يُعبّر عنه بالتوحيد الذاتي، والتوحيد الصفاتي والتوحيد الأفعالي، وأما غيره من مخلوقاته ومصنوعاته، فإن فيها الكثره، وإنّها تبدأ بالأثنين أوّلاً، ثم الأربعة، وما زاد يرجع إليهما، وهذا يجرى في الذات كما يجرى في الصفات والأفعال.

توضيح ذلك بالمثال: إن العالي يقابله الدّاني، للتضاد في الكون فيما سوى الله سبحانه، إذ أنّ الله لا ضدّ له، ثمّ في مقام المفاضله، والتفاضل، ما يقابل العالي هو الأعلى، كما ما يقابل الداني هو الأدنى، فيتولّد من العالي، أو قل من الداني، مفاهيم أربعة: الأعلى والعالي والداني والأدنى.

هذا في مفهوم العالي والداني وكذلك في المفاهيم الأُخرى، فإذا كان عندنا (معنى عام)، فانه يقابله (المعنى الخاص) وفي التفاضل ما يقابل (العام) هو (المعنى الأعم) وما يقابل (الخاص) هو (المعنى الأخص)، فالمعاني حينئذٍ أربعة: الأعم والعام والخاص والأخص. وحينئذٍ تنقسم العصمة إلى أربعة أقسام، أو قل أربع دوائر، كما ذكرته في المتن.

الصغائر، وأن لا يأتي بما ينافي المروّة على قول[١].

ثمّ العصمة في الدائرتين الاولتين من (العصمة الذاتية الكليّة المطلقة) الثابتة بالعقل والنقل من الكتاب الكريم والسّنة الشريفة.

والمراد من الذاتي لا ما في المنطق والفلسفة من المعنى الضروري، كالقضية الموجهة بالضرورة، كقولنا الانسان حيوان بالضرورة، فانّ الحيوانية من الاجزاء الذاتية والضرورية للانسان فهو جنسه. فانه لو كان كذلك فإنه يلزمه عدم قيمة العصمة حينئذٍ، بل المراد منه ما في علم الكلام وعند المتكلّمين، وهو عبارة عن لازم الوجود، فالعصمة الذاتية لا تتنافى مع القدرة على الذّنب، فلا تخرجهم (الذاتية) عن حدّ القدرة، أو إدخالهم في حدّ الإلجاء والقهر، فتدبّر.

أما العصمة في الدائرتين الأخيرتين، فانها تسمى بالعصمة الأفعالية، وإنها جزئية غير مطلقة، وإن الانسان يمنع نفسه عن إرتكاب الذنوب منذ اليوم الأوّل، ومنهم من يمنعها حتى عن الشبهات والمكروهات وحتى الذنوب الفكرية والنوايا الرديئة القلبية والخواطر السيئة، فان حسنات الأبرار سيئات المقرّبين، فهم في قمة العصمة الأفعالية، وربما يخطأ في الكلام أو يشتبه في تصرفاته وحركاته أو يسهو ويغفل، إلّا انه لا يرتكب الذنب

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد) المجلد الثاني فراجع وهو على الموقع.

والمعصية، بخلاف المعصوم بعصمة ذاتية، فانه لا يغفل ولا يسهو، فهو معصوم عن كل ما يشين بالانسان، إلّا إنّ عصمة الأنبياء لا تتنافى مع تركهم الأُولى، كما كان لآدم عليه السلام فكان الأُولى له أن يترك الشجرة التي نهى الله عنها، فإرتكب ما فيه ترك الأُولى، وهذا لا يتنافى مع العصمة الذاتية في الأنبياء، إلّا إنّه في الأربعة عشر معصوم عليهم السلام فوق عصمة الأنبياء عليهم السلام، فإنهم عُصموا حتى من ترك مثل هذا الأُولى، فتدبّر، فإن هذا هو بيت القصيد في النظرية الجديدة.

فإذا كان ابراهيم الخليل عليه السلام يطلب من الله أن يريه كيف يحيى الموتى ليطمئن قلبه، ويزداد يقيناً، فإن أمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: لو كُشف لي الغطاء ما إزددت يقيناً، وإذا اكل آدم من تلك الشجرة المنهيّة عنها، فإنّ علي عليه السلام ترك خبز الحنطة، ولم يكن منهياً عنه.

ولزيادة التقرير والوقوف على النظرة الجديدة في العصمة نقول:

كما أن خلق الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله مقدّم على خلق ما سوى الله سبحانه أي جميع مخلوقات الله ومصنوعاته، فإنّه أوّل صادر منه، وأوّل مخلوق له، هو نور النبي محمد صلى الله عليه وآله وروحه، كما هو ثابت في الأخبار الشريفة المعتبرة المروية عند السنة والشيعة، فهو رحمة للعالمين، وسمّاه البعض بالحقيقة المحمّدية السارية في كل

الخلق، وهذه الحقيقة تجلّت في إبنته الطاهرة المطهّرة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي روحه الّتي بين جنبه، كما تجلّت في أخيه المرتضى علي عليه السلام فهو نفسه، بنصّ آية المباهلة، ثم تجلّت في وُلدهم الأئمّة الأحد عشر عليهم السلام، ثم في الأنبياء والأوصياء والأولياء والخلق الأمثل فالأمثل، ففاطمة الزهراء وأبوها وبعلها وبنوها هم صفوة الله في خلقه، لولا هم لما خلق الله الكون والأفلاك. فإنّهم العلّة الغائية لخلقه، فتجلّى الإسم الأعظم فيهم، بما لم يتجلّى في غيرهم، فإذا كان الله الطاهر القدّوس السبّوح المنزّه المعصوم، فإنّ هذه الطهارة والعصمة بأعلى مراتبها وبقمّتها تجلّت فيهم، ولا يقاس بهم أحد، كما لا يقاس بالله أحد، فان الله في دائرة واجب الوجود لذاته لا يقاس به جميع مخلوقاته حتّى محمد وآله عليهم السلام. كذلك محمد وآل محمد عليهم السلام لا يقاس بهم أحد في دائرة الإمكان الذاتي.

فعصمة الأربعة عشر المعصومين من عصمة الله سبحانه، فليس فيها ترك الأَولى، كما كان في عصمة الأنبياء الّتي هي دون عصمتهم، كما ليس فيها زيادة يقين ليطمئن القلب كما كان لشيخ الأنبياء وصاحب الأديان السماوية إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنّما فيها زيادة علم لقوله تعالى مخاطباً لنبيّه الأعظم محمد صلى الله عليه وآله ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[1] فإن ذلك باعتبار دائرة واجب الوجود لذاته في ذاته، أي

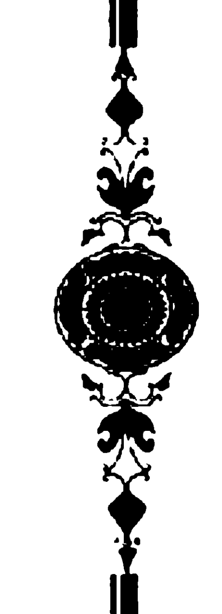
---

(١) طه: ١١٤.

بالقياس إلى الله سبحانه وتعالى، لا بالقياس إلى الناس، أو بالقياس إلى نفسه مع مخلوقات الله عزّ وجل، بل بـاعتبار ذاتـه الإمكـانية وفقره الذاتي ، وبالقياس إلى دائـرة الإمكـان، وإرتـباط الحـادث بالقديم، والمخلوق بالخالق، والعبد بسيده ومولاه.

وإذا أردنا أن نعرف الفرق بين العصمتين الخاص والأخص، فـانه كالفرق بين الثرى والثريا، والأرض والسماء، والقـطرة والبـحر، فأين الثرى من الثريا؟ وأين عصمة الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام من عصمة الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام ؟!

وهذا ما سيتضح من خلال المباحث الآتية إنشاء الله تعالى.

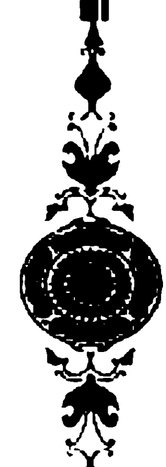


منشأ الاختلاف في المراتب

ثم إختلاف مراتب العصمة إنّما هي باعتبار مبانيها وإختلافها سعةً وضيقاً، فإنّ العصمة إنّما تبتني على العلم،كما ورد في الخبر النبوي الشريف (ثمرة العلم العصمة) وعلى الزهد في الدنيا، فان (حب الدينا رأس كل خطيئة) فلابد من الزهد فيها كما في دعاء الندبة[1]، وعلى الصبر واليقين كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[2].

فهذه العوامل الثلاثة: العلم والزّهد والصبر من أُمّهات وأهمّ العوامل للعصمة مطلقاً، فكلّما إزداد علماً وزهداً وصبراً إزداد عصمةً ومنعاً من الذنوب والرذائل والمعاصي والقبائح مطلقاً.

والعصمة الذاتية تبتني على العلم اللّدني أي (من لدن حكيم) ويكفي في إختلاف علم الأنبياء، بل وعلم الأولين والآخرين في قبال علم



---

(١) راجع آخر مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي ﷺ.

(٢) السجدة: ٢٤.

الأربعة عشر معصوم عليهم السلام ، انه كالقطرة في مقابل البحر، إذ أنّهم عندهم علم الكتاب، والأنبياء عندهم علم من الكتاب، وهذا ما يأتينا بيانه إنشاء الله تعالى.

كما إنّهم أزهد الناس من الأولين والآخرين، وانهم أصبر الخلق على المصائب والبلايا، فكيف لا يزدادون عصمة وطهارة وقداسة وقرباً من الله سبحانه.

ولما كانوا هم سرّ الوجود وبداية الخلق (بكم فتح الله وبكم يختم) وإختارهم الله لسرّه وعلمه، كما دلّت النصوص المتواترة على خلقهم النوري، وانهم منشأ الفيوضات الالهية بين الخالق والمخلوق[١]، وهم وجه الله الذي يتوجه إليه الأولياء، والسبب المتصل بين الأرض والسماء، فكل فيض الهي يمرّ من خلالهم، ومن وجودهم القدسي، فهم وسيلة الله العظمى. ومنه فيض العصمة، فعصمة الأنبياء من عصمتهم، وعصمتهم من عصمة الله، كما إن عصمة العلماء من عصمة الأنبياء، فان العلماء ورثة الأنبياء، كما إنّ عصمة الصلحاء والمؤمنين والمؤمنات من عصمة العلماء، فسلسلة العصمة تنتهي إلى عصمة واجب الوجود لذاته، المستجمع

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في كتاب (الانوار القدسية) مطبوع في رسالات اسلامية المجلد السادس وهو على الموقع.

لجميع صفات الجلال والجمال والكمال جلّ جلاله.

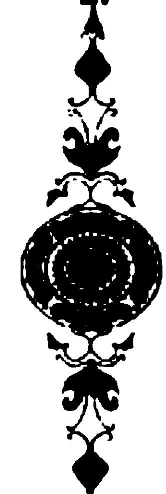
ثم ذهب الجمهور من العامة إلى عصمة النبي الأعظم محمد ﷺ في تبليغ رسالته فقط.

وأما أصحابنا الإماميّة (مذهب العدل والعصمة) فقد قالوا: بعصمة النبي والأنبياء من بداية حياتهم إلى رحلتهم إلى الله تعالى، كما انهم عصموا من كل زلل وخطأ وذنب، فقد إنفردوا في ذلك ـ فهذا يدلّ على مصداقية الفرقة الناجية، فعندهم ما ليس عند غيرهم ـ في عصمة أئمّتهم الاثنى عشر عليهم السلام. كما قالوا بعصمة سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام.

قال العلّامة خواجه نصيرالدين الطوسي في تجريد الاعتقاد: (ويجب في النبيّ العصمة ليحصل الوثوق، فيحصل الغرض ولوجوب متابعته)، والسيد علم الهدى رحمه الله صنّف كتاباً باسم (تنزيه الأنبياء) تطهيراً لساحتهم لمّا ينسب إليهم، وإنهم معصومون.

يقول شيخنا المفيد رحمه الله: إنّ الأئمّة معصومون كعصمة الأنبياء، ولا تجوز عليهم صغيرة.

والذي أذهب إليه في النظرة الجديدة إنّهم عصموا حتى عن ترك الأُولى، فإنّهم وجدّهم النبي المصطفى وأبيهم علي المرتضى وأُمّهم فاطمة الزهراء عليهم السلام في قمة العصمة الممكنة، وإنهم تالي تلو العصمة



الإلهية الكبرى التي هي بلا نهاية ولا بداية، فهي مطلق العصمة والعصمة المطلقة. كما لا يقاس بذات الله أحد، فكذك في صفاته وأفعاله، فهو الواحد الأحد في الذات والصفات والأفعال والعبادة. فعصمة الأربعة عشر المعصوم عليهم السلام هي العصمة بالمعنى الأخص، فعند غيرهم من المعصومين ما عندهم، ولا عكس.

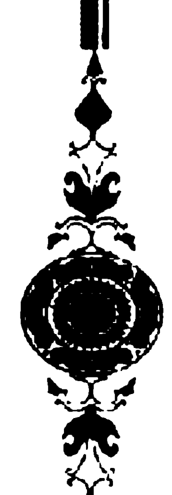
ثم عصمة المعصومين ليست بجبر من الله سبحانه كما توهّم البعض، بأنّه سبحانه أجبرهم على عدم إرتكاب المعصية، وسلب إختيارهم وقدرتهم على ذلك، فلا يتمكّنون منها وإن قصدوها، وذلك من جهة المانع العقلي بين القول بالاختيار، وبين وجوب العصمة وضرورتها في المعصومين.

وجوابه واضح: فإنه لا مانع من ذلك، فليس كلّما وجب فعل وإمتنع آخر يلزمه الجبر عقلاً وضرورة، وإلّا لزم أن يكون سبحانه مجبراً علىٰ ترك الظلم وفعل العدل مع مطلق إختياره، فإنّه في عين كونه مختاراً لا يفعل القبيح كالظلم، ولا يريده، ولا تنافي بين عصمته وإختياره، وأراد عزوجل أن يكون الانسان مظهراً لذلك.

كما أنّ المراد من الذاتي في عصمة المعصومين ليس الضروري الفلسفي الذي هو بمعنى الوجوب والامتناع الذاتي، أي ضرورة الثبوت أو ضرورة الامتناع، كضرورة إجتماع النقيضين

وإرتفاعهما، بل المراد الضرور الكلامي، والذي نعني به الوجـوب أو الامتناع الوقوعي، فانه ممكن في ذاته، إلّا إنّه ضروري الوقوع أو الامتناع، وذلك بإعتبار الخارج ودار التحقّق، كوقوع الظلم مـن الله، فانه وان كان ممكناً في ذاته لمحض القدرة والاختيار، إلّا انه ممتنع الوقوع في الخارج، فلا تنافي بين القدرة وبين إمتناع وقوع شيء في الخارج، فالأول باعتبار ذات الشـيء، والثـاني بـاعتبار وقوعه، فالمعصوم وان كان قادراً على المعصية ذاتاً، إلّا انه يـمتنع عليه ذلك وقوعاً.

أو بعبارة أُخرى: الضروري في العصمة إنّـما هـو مـن قـبيل لوازم الوجود التي لا تنفك عنها، أضف إلى ذلك، أنّ النصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنة الشريفة وردت بلغة الأمر والتهديد والتحذير للأنبياء والمرسلين والأئمة الطاهرين، مـما يـدل بـوضوح عـلى قدرتهم واختيارهم للمعصية، وإنّما تركوها عن إرادة وإختيار ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [1] ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِنَ الظَّـالِمِينَ﴾ [2] وهكذا فإنّه كثير من الآيات تحذر الأنبياء من الشرك ومعصية الله سبحانه أو الكذب



(١) الأنعام: ١٥.

(٢) يونس: ١٠٦.

عليه ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بَعْضَ الْأَقاوِيلِ * لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِينَ﴾[1].

ثم الثواب والعقاب إنّما يترتبان على الاختيار والقدرة مطلقاً بلا فرق بين المعصوم وغيره.

﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[2].

وأما السنة الشريفة فكثير من الروايات تدل على انّ جميع ما ناله الأنبياء والأوصياء، إنّما كان بالطاعة لله سبحانه، فإنّ (علياً بلغ ما بلغ عند رسول الله ﷺ بصدق الحديث وأداء الأمانة) وجبرئيل في مقام العظة يقول للنبي الأعظم ﷺ (واعمل ما شئت فإنّك لاقيه) (وما أطاق أحد عمل علي عليه السلام من ولده بعده، إلّا علي بن الحسين عليه السلام).

وقد تواترت الأخبار في سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام وما كانوا يقومون به من الجهد الجهيد في مقام الطاعة والعبادة لله سبحانه، وإنّما نالوا المقامات الرفيعة عند الله بأعمالهم وعباداتهم وتقواهم وتهجّدهم، فكل هذا يدل على عدم كونهم مجبرين على الطاعة وترك المعصية، فمن قال بذلك فقد خالف الأدلة العقلية والنقلية من

---

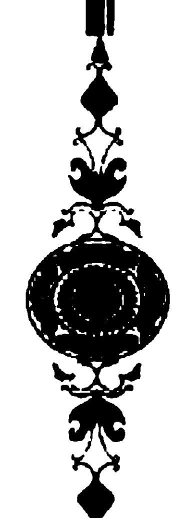
(١) الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧.

(٢) الزمر: ٦٥.

الكتاب الكريم والسنة الشريفة والسيرة الطاهرة.

هذا ولا يصحّ قول القائل كما نسب إلى بعض المتكلمين: بأن المعصوم يختلف عن الناس وانه سنخ وجود لا يصدر منه إلّا الطاعة كالملائكة، فهو بهذا ليس ببشر، فإنّه ينافي حينئذٍ كونه أُسوةً وقدوةً للناس، فانه لابد أن يكون من الناس، ويحمل ما يحملون من الغرائز والدوافع النفسيّة والشهويّة، وبهذا لم تكن الملائكة قدوة الناس. بل الاقتداء والتأسي إنّما كان بالأنبياء ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[1].

وفي الحديث الصادقي عند ما سئل عن الملائكة انهم أفضل أم بنو آدم فقال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله، فهو شر من البهائم)[2].



ثم القرآن الكريم صرح بكونهم بشراً، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[3] ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ كما يدلّ على بشرية

---

(١) الانعام: ٩٠.

(٢) علل الشرائع: ٤.

(٣) يوسف: ١٠٩.

الأنبياء والأوصياء أكلهم الطعام، وعدم خلودهم في الدنيا، وكونهم لهم أزواج وذرّية، فهذه من الآثار البشرية والانسانيّة فليس المعصوم جنس آخر من الموجودات بصورة البشر، فان هذا الاحتمال يخالف العقل والقرآن الكريم والسنة الشريفة. بل المعصوم من البشر، وإنّ عصمته بالاختيار بتوفيق من الله سبحانه، لا بالجبر والقهر والإلجاء.

قال شيخنا المفيد ﷺ: العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق واللطف والاعتصام من الحجج بها عن الذنوب والغلط في دين الله تعالى، والعصمة لفضل من الله تعالى على من علم أنّه يتمسك بعصمته، والاعتصام فعل المعتصم، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن، ولا ملجئة له إليه)[١].

أجل: إن السفير الالهي وخليفة الله في الأرض وهو النبي ووصيّه، لابد أن يكون مؤيداً بروح القدس، وبه لا يلهو ولا يغفل ولا ينسى ولا يعصي ولا يأ ثم، بل يعصم بإمتناع من الله عمّا حرّمه عليه في جميع أحواله وأطواره وشؤونه قبل البعثة أو بعدها، وقبل الإمامة أو بعدها، فالنبي وكذلك الوصي معصومان في الأفعال والأقوال مطلقاً

---

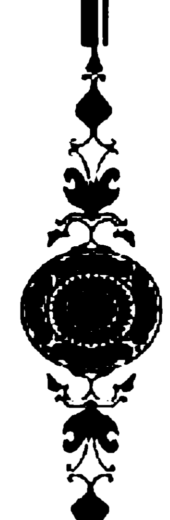
(١) تصحيح الاعتقاد: ١٢٨.

بالأدلة العقلية والنقلية، ومن أسند اليهما الخطأ فهو المخطئ، ومن أسند إليهما السهو، فهو أولى به.

قال الصّبيان للنبي يحيى عليه السلام الّذي آتاه الله الحكم صبيّاً، إذهب بنا لنلعب، فقال: ما للعب خُلقنا، فانزل الله فيه (وآتيناه الحكم صبيّا) صاحب العصمة منذ ولادته وحتى وفاته، كل أقواله وأفعاله وآثاره يكون عن حكمة وحُكم، فيكون حكيماً ومعصوماً بعصمة ذاتية ومطلقة كليّة.

والنّبوة: وظيفة الهيّة وسفارة ربانيّة، جعلها الله تعالى لمن يختاره ويصطفيه من عباده الصالحين، وخلقه المطيعين، وأوليائه الكاملين، فيبعثهم الله بعد الاجتباء والصيانة بعصمة منه، إلى سائر الناس، لهدايتهم وإرشادهم وإقامة العدالة الإجتماعية.

وإلى ما فيه مصالحهم ومنافعهم في معادهم ومعاشهم في الدنيا والآخرة، وتزكيتهم من درن مساوئ الأخلاق ومفاسد العادات، وما تأمر به النفس الأمارة بالسوء، ويزيّن لهم الشيطان، وتعليمهم الحكمة والمعرفة، وبيان طرق السعادة والخير والاحسان والعدل، لتبلغ الانسانية كمالها اللائق بها، فتسمو وترتفع إلى الدرجات العالية في الدارين ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا

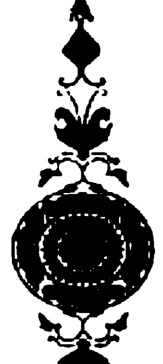


﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[1].

فبعث الرسل والأنبياء من لطف الله وعدله، ليقرّب العبد إلى طاعته، ويبعّده عن معصيته، بتعريضه للثواب لينال السعادة، بإمتثال تكاليفه من إتيان الواجبات وترك المحرمات، ومعلّم التكاليف والهادي إلى الرشاد هو النبي المعصوم أوّلاً، ثم خليفته ووصيّه الإمام المعصوم الذي يحفظ رسالته مطلقاً.

فإرسال الأنبياء، ومن ثمّ نصب الأوصياء إنّما هو لإرشاد العباد إلى صراط الكمال، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وهذا كلّه من اللّطف الإلهي، فيجب عن الله تعالى فعله، فانه ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾[2] ولما تقتضيه حكمته وتسدعيه رحمته ورأفته، فهذا من اللطف الواجب اللازم الذي لا ينفك عن الله سبحانه، كلزوم ووجوب الوجود لذاته، فيستحيل أن ينفك عنه، فتدبّر.

وفي رياض السالكين قال السيد علي خان: العصمة: في الاصطلاح لطف يفعله الله بالمكلّف بحيث لا يكون معه داع إلى فعل المعصية مع قدرته عليها)[3].



وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: قال: (قال

---

(١) البقرة: ١٥١.

(٢) الانعام: ١٢.

(٣) رياض السالكين: ٥: ٥٣١.

الأكثرون من أهل النظر: بل المعصوم مختار متمكن من المعصية والطاعة.

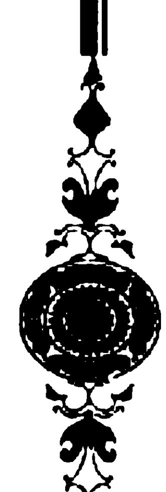
وقال أصحابنا ـ المعتزلة ـ العصمة لطف يمتنع المكلف ـ عند فعله ـ من القبيح إختياراً[١].

وقال العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان): (ونعني بالعصمة وجود أمر في الانسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز عن الخطأ والمعصية[٢].

فالعصمة من الله سبحانه سبب في الانسان النبي، تصدر عنه أفعاله الاختيارية صواباً وطاعةً، وهو نوع من العلم الراسخ)[٣].

ثم لا يخفى أن الكتب الكلامية والعقائدية عند الفريقين: السنة والشيعة ـ قديمها وحديثها ـ مشحونة بموضوع (العصمة) والبحث عنها مفهوماً ومصداقاً، وقد طرح القرآن مسألة العصمة بمعنى المصونيّة عن الخطأ والعصيان كما جاء في وصف الملائكة ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٤].

فالعصمة بمفهومها الوسيع مع قطع النظر عن موصوفها قد طرحها



---

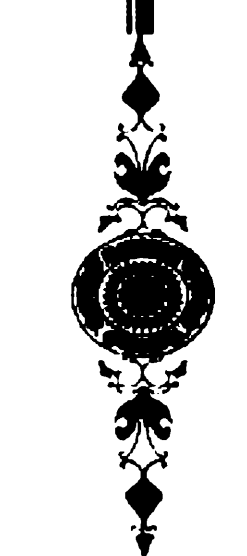
(١) شرح نهج البلاغة: ٧: ٧.

(٢) الميزان: ٥: ٧٨.

(٣) الميزان: ٢: ١٣٩.

(٤) التحريم: ٦.

القرآن الكريم، وألفت نظر المسلمين إليها[1]. ولا يصحّ قول من قال أنّ فكرة العصمة ترجع إلى الشيعة بالخصوص، وأنهم أخذوا عقائدهم عن المعتزلة. فتدبّر.



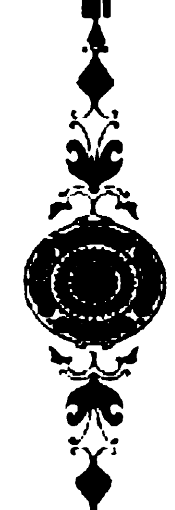
(١) عصمة الأنبياء في القرآن: ١٠.

الأدلّة العقلية والسمعية على لزوم العصمة في الأنبياء وفي أئمتنا الأطهار عليهم السلام

إنّما نستدل على لزوم العصمة في النبي ووصيه وخليفته من بعده من باب (قاعدة اللّطف) الالهي، فان اللّطف: بمعنى ما يقرّب العبد إلى الطاعة، ويبعّده عن المعصية لا إلى حدّ الالجاء والقهر.

وقد إستدل أصحابنا عليهم الرحمة والرضوان، على وجوب العصمة في الأئمة الأطهار بوجوه عقليّة، وأدلة سمعيّة من الآيات والروايات، نذكر نموذجاً منها إجمالاً:

أمّا الأدلة العقليّة:



١ ـ فمنها: لما كانت الإمامة إستمراراً لخطّ النبوة، وتحمّل مسؤوليات النبي صلى الله عليه وآله في نبوّته، وتبليغ رسالته النازلة من السماء، وكان الإمام يملأ جميع الفراغات والفجوات الحاصلة بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله إلى جوار ربّه، فلا مناص من لزوم عصمته.

لأن تجويز المعصية عليه يتنافى مع الغاية التي لأجلها نصبه الله سبحانه إماماً للأمّة، فإنّ الغاية حفظ الرسالة من الضياع والإنحراف، وهداية الناس إلى الصراط المستقيم، ولا يتم ذلك إلّا بالوثوق بقوله وبصحة كلامه، فاذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان والمعصية والذنب، كيف يحصل الوثوق بفعله وقوله؟!، فيلزم نفي الغرض من نصبه، فيتنافى مع اللطف الالهي بعباده، وبهذا يستدلّ أيضاً على عصمة الأنبياء والرّسل، والإمام وان لم يكن نبياً يوحىٰ إليه، ورسولاً أمره الله بتبليغ رسالته، إلّا أنه قائم بوظائفهما بعد رحلتهما.

ولقد كان النبي الأكرم ﷺ يصون الدين من التغيير والتّحريف، ويربّي المسلمين بالعلم والتهذيب، ويسوقهم إلى التكامل وكمالهم المنشود، ويفسّر القرآن الكريم، ويوضّح مقاصده وسُبله، ويبين أسراره، ويُجيب على كل الأسئلة في كل مجالات الحياة لما عنده من العلم اللّدني، كما يردّ جميع الشبهات والتشكيكات والاباطيل التي يبث سمومها أعداء الاسلام في صفوف المسلمين.

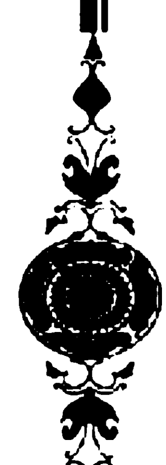
ومن بعد رحلته يا تُرى من الّذي يملأ هذه الفراغات؟ فلا يسدها إلّا الانسان الكامل الذي يقوم بتلك الواجبات، وإنّ الله عصمه في وجوده منذ خلقته بنحو كلّي، كما عصم النبي، وأكرمه بعلمه،

وأطلعه على غيبه كما فعل بـالنبي ، وكـان يـحمل صـفات النـبي وكمالاته، فلا تصدر منه المعصية عمداً ولا سهواً.

٢ ـ ومنها: لو لم يكن معصوماً لجاز أن يصدر منه الذنوب والآثام، فيترتب عليه إجراء الحدود الشـرعية التـي أمـر الله بـها لمـرتكب الجريمة والذنب، ويكون واجب الأُمّة حينئذٍ إقامة الحد عـليه، أو تعطيل الحد في حقه، وفي كلا الأمرين محذور من النقص لمقامه السامي، أو تعطيل الشريعة المقدسة.

٣ ـ ومنها: إنّ الله أمر بإتباعه، لما دلّت عليه العديد من آياته، فـلو صدر منه الذنب، لوجب إتباعه إمتثالاً لأمره تعالى، ولكـن الأمـر بإتباع الباطل محال لقبحه، فيكون صدور الذنب عنه محال أيضاً، فثبت المطلوب من القول بعصمته.

٤ ـ ومنها: لو فعل المعصية ولم يستوجب الحد الشرعي، فانّ ذلك ممّا يوجب التنفّر والإعراض عنه، وعدم إستجابة أوامره ونواهيه، وبذلك يبطل الغرض من خلافته وإمامته، كما يبطل الغـرض فـي النبي من بعثته وإرساله.



٥ ـ ومنها: إنّما نفتقر ونحتاج إلى النبي والإمام عليه السلام لجـواز الخـطأ على الأُمّة، فلو جاز عليهما لاحتجنا إلى نبي أو إمام آخرين، وهذا يلزمه الدور أو التسلسل الباطلان ـ كما هو ثابت في محلّه ـ

٦ ـ ومنها: لو لم نقل بعصمة الإمام الذي يخلف النبي في وظائفه ومسؤولياته لجاز عليه الكذب، فيكون غير مؤتمن على حفظ الرسالة، كما يصح أن يحتج من لم يأخذ منه باحتمال الكذب في دعواه ﴿فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [١] ولو جاز الكذب عليه للزم نقض غرض الله في هداية الناس وإيصالهم إلى الكمال، ونقض الغرض مخالفاً لحكمته، وهو محال.

ومثل هذه الحجج العقلية تجري في عصمة الأنبياء عليهم السلام أيضاً.

وأما الآيات التي يشم منها ارتكابهم المعصية كما في قوله تعالى ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ [٢] فإنها مُؤلة بوجه لا يتنافى مع عصمتهم، كتركهم الأُولى، أو كانت معصية آدم في الجنة قبل أن يبعثه الله تعالى.

يقول الإمام الرضا عليه السلام لعلي بن الجُهم: يا علي إتق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش، ولا تتأول كتاب الله برأيك، فإن الله عزوجل قد قال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [٣] وأما قوله عزوجل في آدم عليه السلام (وعصى آدم ربّه فغوىٰ) فان الله عزوجل خلق آدم حجة في أرضه وخليقته في بلاده، ولم يخلقه للجنة، وكانت

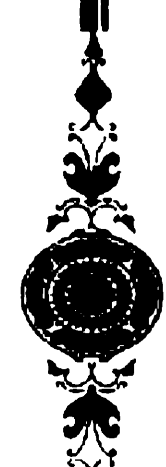
---

(١) الأنعام: ١٤٩.
(٢) طه: ١٢١.
(٣) آل عمران: ٧.

المعصية من آدم عليه السلام في الجنة لا في الأرض، وعصمته يجب أن تكون في الأرض ليتم مقادير أمر الله، فلمّا أُهبط إلى الأرض وجُعل حجّة وخليفة عُصم بقوله عزوجل: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[١].[٢].

فما ورد في الكتاب العزيز والأخبار الشريفة ممّا قد يوهم صدور الذنب عنهم عليهم السلام فيجب تأويله بما يتناسب مع عصمتهم، أو حمله على ترك الأُولى، لنجمع بين ما دلّ عليه العقل والنّقل من وجوب عصمتهم، وبين صحّة النقل فيما ورد في الآيات الكريمة والروايات الشريفة، كما فعل ذلك من قبل علم الهدى السيد المرتضى قدس سره في كتابه القيّم (تنزيه الأنبياء) فراجع.

ولا يخفى أنّ ما نعتقده في عصمة الأنبياء عليهم السلام، والأئمّة الأطهار عليهم السلام هو تنزيههم عن كل ذنب وعن كل سهو وخطأ ونسيان في جميع الأزمان مطلقاً، سواء في المعتقدات الدينية أو السلوك والفعل الصادر عنهم من أقوالهم وأفعالهم الدينية، أو تبليغ الأحكام ونقل شريعة السماء، أو الأفعال المتعلّقة بأحوال معاشهم في الدنيا مما ليس بأمر ديني، فانه لو جاز عليهم شيء من ذلك لزم التنفّر منهم



(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١: ١٩٤.

وسقوط محلّهم عن القلوب، ومن ثم عدم قبول أقوالهم وأفعالهم، وعدم الثقة بهم، فكيف يقتدىٰ ويتأسى بهم، وهذا نـقض للـغرض الإلهي وهو مستحيل كما ذكرنا، وإذا قيل بعدم حصول التنفير عند بعض المسلمين الذين جوّزوا على النـبي أو الوصـي السـهو فـي العبادة، فانه نقول: إنّ تنفير الأكـثر أو البـعض يكـفي فـي نـقض الغرض.. كما إنّ المضيف قد يعبس بوجه ضيوفه، إلّا ان ذلك لا ينفرّ بعضهم عن الطعام، ولكن يبقى العُبوسيّة نقضاً لغرض المضيف في إكرام ضيقه[1]، فتدبّر.

أما الأدلة السمعية النقلية فالايات القرآنية كثيرة، وما أكثر النصوص من الأخبار الشريفة، إلّا إنّه نذكر من الآيات الكريمة نماذج، ثـم نختمها بالسنّة الشريفة بجملة من الروايات والأحـاديث المـعتبرة ممّا تفيد العلم والقطع، ويصحّ ان يؤخذ منها مفردة عقديّة، ولا سيّما في معظمها الاستدلال العقلي والفطري الدال على صحة المعتقد.

---

(١) كشف المحجوب في معرفة واجب الوجود: للسيد حسين علي.

(١)
آية الإطاعة

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾[١].

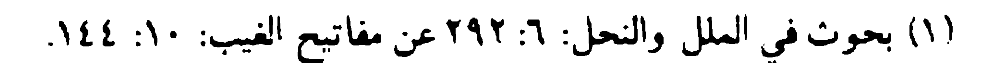
وجه الاستدلال: إنّه سبحانه أمر بطاعة أُولي الأمر على وجه الاطلاق في كل زمان ومكان، وفي جميع جوانب الحياة وكلّ الحالات، ثم من البديهي أنه عزّوجل لا يرضى لعباده الكفر والعصيان، من غير فرق بين أن يقوم به العباد إبتداءً من دون تدخّل أمر آمر أو نهي ناه، أو يقومون به بعد صدور أمر ونهي من أولى الأمر، ومقتضى هذين الأمرين: (وجوب إطاعة أولى الأمر مطلقاً، وحرمة طاعتهم إذا أمروا بالعصيان) أن يتصف أولى الأمر في الآية الشريفة، بخصوصية ذاتية وعناية خاصة إلهية، تصدّهم عن الأمر


(١) النساء: ٥٩.

بالمعصية والنهي عن الطاعة، وهذا معنى العصمة فيهم.

وممّن صرّح بدلالة الآية الشريفة على العصمة من أعلام الجمهور هو الفخر الرازي في تفسيره قائلاً: «ان الله تعالى أمر بـطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآ ية، ومن أمـر الله بـطاعته عـلى سبيل الجزم والقطع، لابد وأن يكون معصوماً عن الخـطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطاء، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى إجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحـد بالاعتبار الواحد، وأنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بـطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم، وجب أن يكون معصوماً عن الخـطأ، فـثبت قـطعاً أن أولى الأمر المذكور في هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً»[1].

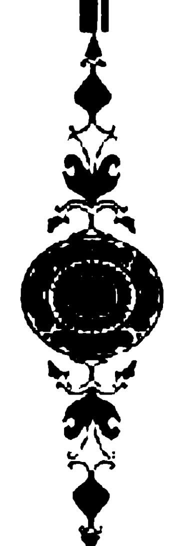
ثم لابد من التعرّف على المعصوم في زمان النبي وعصر نزول الآية الشريفة، ولا يعقل أن يأمر الوحي بإطاعة المعصوم، ثـم لا يـقوم بتعريفه وتشخيصه للناس عند نزول الآ ية، ولا تثبت العصمة للأُمّة ولا لأهل الحلّ والعقد، لوقوع الاختلاف بينهم، وحكومة الأ نانيّة، وإتّباع الشهوات فيهم.


(١) بحوث في الملل والنحل: ٦: ٢٩٢ عن مفاتيح الغيب: ١٠: ١٤٤.

فاتفق أهل التفسير والمتكلمين من العلماء على أنّ هذه الآية الشريفة أدل دليل على عصمة الرسول ﷺ وعلى عصمة أولي الأمر وإطاعتهم المطلقة، فانه لا تجب طاعة الفاسق.

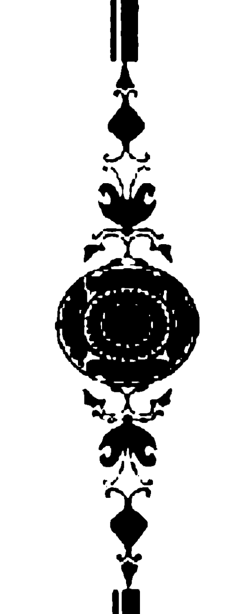
وانطبقت هذه العناوين على الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام أي على الإمام الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه الحسن المجتبى والأئمة التسع من ولده، وهناك الروايات الكثيرة التي دلت على عددهم وذكر أسمائهم وخصائصهم، ومنها العصمة الذاتية والطهارة الباطنية.

واليكم هذه الرواية عن الحمويني في فرائده، والحنفي القندوزي في ينابيعه: إنّ يهودياً سأل النبي ﷺ عن وصيه، لأنه قال له ما من نبي إلّا وله وصي، وإنّ نبيّنا موسى بن عمران أوصى يوشع بن نون فقال عليه السلام: إن وصيّي علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده سبطاي الحسن والحسين عليهما السلام ثم تتلوه تسعة من أئمة من صلب الحسين عليه السلام أئمّة أبرار.



قال اليهودي فسمّهم لي قال: إذا مضى الحسين، فإبنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، ثم إبنه جعفر، ثم إبنه موسى، ثم إبنه علي، ثم إبنه محمد، ثم إبنه علي، ثم إبنه الحسن، ثم الحجة بن الحسن عليهم السلام فهؤلاء إثنا عشر أئمّة عدد نقباء بني اسرائيل، فشهد اليهودي الشهادتين عهده، وشهد أنهم الأوصياء من بعده، ثم قال:

لقد وجدت هذا في الكتب المتقدّمة، وفيها عهد إلينا موسى بن عمرانعليه السلام، وأنّه إذا كان في آخر الزمان يخرج نبي يقال له أحمد، خاتم الأنبياء لا نبيّ بعده، فيخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط[1].

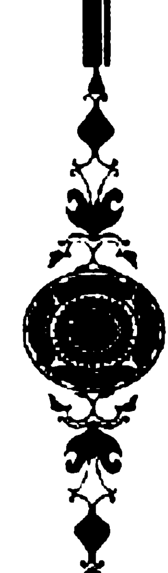


(١) فرائد السمطين: الباب ٧٦ ج٢ الباب ٣١ وينابيع المودة: ٤٤١، ٤٨٦ الباب ٧٦.

(٢)
آية الإمامة

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

والإمامة في الآية الشريفة غير النبوة التي تعني تحمّل الوحي، وغير الرسالة التي هي عبارة عن منصب ابلاغه إلى الناس، فإنّ الإمامة التي أعطاه الله خليله إبراهيم عليه السلام في أواخر حياته، لم تكن من النبوة ولا الرسالة، لأنه كان نبيّاً ورسولاً قائماً بوظائفهما، بل المراد من الإمامة في المقام هو منصب القيادة الذي يعبّر عنه في المصطلح القرآني بالمُلك، وهو بمعنى تنفيذ الشريعة وقوانيها في المجتمع بقدرة وقوة.





(١) البقرة: ١٢٤.

ومن آيات الملك: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً﴾[1].

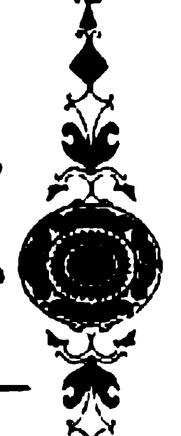
وعن لسان يوسف عليه السلام عند ما تمكن في الأرض حكومةً: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾[2].

وعن داود: ﴿وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾[3] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[4].

وعن سليمان: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

فالإمامة تعني المُلك والرياسة العامّة في الدين والدنيا، بنصب من الله سبحانه، كما أعطى ذلك لبعض أنبيائه.

وقد طلب ابراهيم الخليل عليه السلام ذلك لذريّته، فأجابه الله سبحانه: إنّها تكون لبعضهم، كما إنّها ربما تجتمع النبوة والإمامة كما في ابراهيم نفسه، وفي يوسف وداود، وربما تكون الإمامة دون النبوة كما في طالوت في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً



---

(١) النساء: ٥٤.

(٢) يوسف: ١٠١.

(٣) البقرة: ٢٥١.

(٤) ص: ٢٠.

مِنَ الْمَالِ قالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فبين النّبوة والإمامة من النسب في المفاهيم: العموم والخصوص من وجه، لافتراقهما في موردين وإجتماعها في مورد واحد.

فالإمامة في إجابة ابراهيم الخليل عليه السلام إنّما هي لمن لم يكن ظالماً لنفسه وللناس، وذلك للاطلاق فيها. فالإمامة منصب إلهي لا يناله الظالمون، فان الإمام هو المطاع بين الناس على الاطلاق، كما هو المتصرف في النفوس والأموال، فهو أولى الناس بأنفسهم، كما كان النبي صلى الله عليه وآله، فيجب من باب اللطف أن يكون الإمام على الصراط المستقيم، ومن تجاوز عن الحد، فانه لا يصلح لهذا المنصب، فكل من تجاوز الحدّ، أو عصى الله، أو ظلم نفسه، أو عبد الصنم، أو لاذ إلى وثن وأشرك بالله، فانه لا ينال عهد الإمامة والمُلك، لقوله تعالى (لا ينال عهدي الظالمين) سواء أكان ملتبساً بالظلم، أو إنقضى عنه، فهو كالسارق الذي يحكم عليه بقطع يده بعد ثبوته عند الحاكم الشرعي، حتى ولو تاب منه، فليس من الموضوع الذي يزول حكمه بزواله، أو زال وصفه، كالخمر حرام، ـ فتدبّر فإنه بهذا الوجه الوجيه والقاطع نلغي وننكر مشروعية خلافة خلفاء الجور والظلم

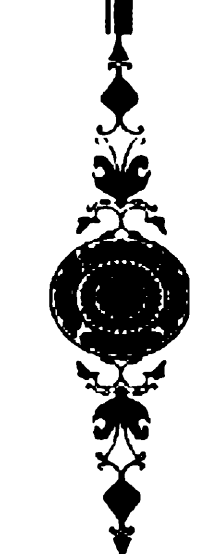


(١) البقرة: ٢٤٧.

من الطغاة والجبابرة ـ ومن بعد رحلة رسول الله محمد ﷺ وإلى يومنا هذا....

ويدل على ذلك: إنّ الناس في الظلم على أربعة أصناف:

فأما أن يكون ظالماً طيلة عمره، أو عند تصديه للامامة، وهذان غير مقصودين في دعاء ابراهيم عليه السلام قطعاً، أو كان نقيّاً معصوماً طيلة حياته، أو كان ظالماً في بداية عمره كأن يكون عابداً للوثن وساجداً للصنم، وتاب في آخر عمره ـ لو تاب ـ بعد أن قضى معظم عمره في الشرك، والثاني منفي بالآية فإنّه لاينال عهد الله، فيبقى الاوّل أي من كان معصوماً طيلة حياته، فثبت المطلوب.



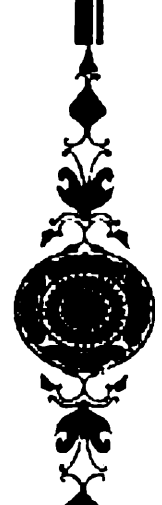
(٣)
آية التطهير والعصمة

ممّا يستدلّ على عصمة أئمّة أهل البيت عليهم السلام قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [١].

وجه الاستدلال: انّما يتمّ بعد معرفة مفردات الآية الشريفة، وهي: الرّجس، والإرادة، وأهل البيت.

أمّا الرجس: فلغةً: القذر من الرجاسة، وهي القذارة.

ومصطلحاً: قد تكون بحسب الظاهر، أي القذارة الظاهرية بمعنى الهيئة الخاصة في الشيء توجب التنفّر منه والاجتناب عنه، كقذارة الخنزير ورجساته ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [٢] وقد تكون بحسب الباطن، والمسماة بالرجاسة الباطنية المعنوية كالشرك والكفر

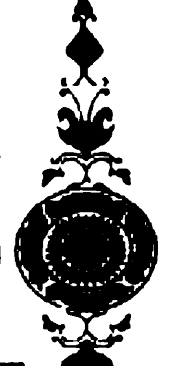


(١) الاحزاب: ٣٣.
(٢) الانعام: ١٤٥.

والعمل القبيح، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [1] وفي قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾ [2] فان الأوثان والأصنام بذاتها لا رجس فيه، إنّما الرجس في عبادتها من دون الله تعالى ـ أي الشرك بالله ـ الذي هو من المعاني الباطنية والقذارات المعنوية، كالصفات الذميمة.

وذهب الفخر الرازي في تفسيره: الرجس عبارة عن الفاسد المستقذر المستكره، وعند الآلوسي في تفسيره [3]: الرجس في الأصل ـ أي في اللغة ـ الشيء القذر... وقيل: يقع على الاثم وعلى العذاب وعلى النجاسة وعلى النقائص.

وفي مفردات الراغب [4]: الرجس يعني الشيء القذر سواء من ناحية كونه قذراً منفراً لطبع الانسان، أو بحكم العقل أو الشرع أو جميعها، فالرجس له أربع حالات: من حيث طبع الانسان، ومن حيث ما هو خارج عن طبعه، وفسّره في بعض التعابير بانه الذنب أو الشرك أو العقيدة الباطلة أو البخل أو الحسد.



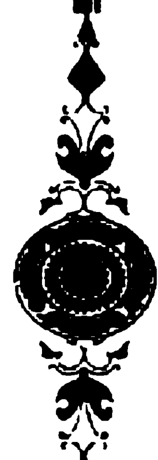
---

(١) التوبة: ١٢٥.
(٢) الحج: ٣٠.
(٣) ج٢٢: ٣٠.
(٤) مفردات الراغب: ١٨٨.

ومن مجموع الأقوال والتعاريف نستخلص: إنّ الرجس عبارة عن مطلق القذارات المادية الظاهرية والمعنوية الباطنية، ويتعلق بالذات والصفات والافعال، كما يتعلق بالاعتقادات والاخلاق والملكات والاعمال، فيتعلق بالجوانح والجوارح.

ولما كانت الطهارة ضد الرجاسة، فان للطهارة مراتب ومتعلقات، من الطهارة الظاهرية والطهارة الباطنية، ومن الأُولى قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [١] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ [٢] ومن الثانية قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [٣].

ثم الألف واللام في لفظ (الرجس) في الآية للجنس، فتفيد العموم، وتكون معنى الآية حينئذٍ: إنّ الله سبحانه وتعالى شاء وتعلّقت إرادته أن يطهّر هؤلاء (أهل البيت) ويبعدهم عن كل أنواع الرجس سواء الظاهرية أو الباطنية، فيعمّ الذنوب والمعاصي والاثام والصفات الذميمة وكل شين ونقص مطلقاً، وبهذا ثبتت العصمة المطلقة الذاتية للنبي وأهل بيته عليهم السلام ونفي الرجس مطلقاً يلزمه نفي الذنوب مطلقاً، أضف إلى ذلك كلمة (إنّما) المفيدة للحصر والقصر وضعاً وظهوراً، وإنّ الإرادة الإلهيّة إنحصرت وتعلقت بأهل



---

(١) الانفال: ١١.

(٢) المائدة: ٦.

(٣) البقرة: ٢٥.

البيت عليهم السلام.

ففي الآية الشريفة قصران: قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وقصر إذهاب الرجس والتطهير في أهل البيت عليهم السلام.

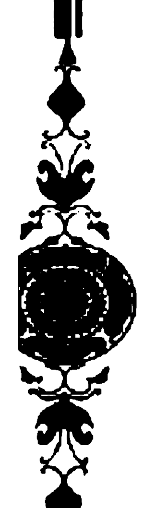
وأما الارادة: في قوله تعالى (يريد الله) فهي على قسمين: الارادة الشريعية التي تعني الاحكام الالهية من الواجبات والمحرمات، والإرادة التكوينيّة التي تعني طهارة النفوس في عالم التكوين وأصل الخلقة والذات. وليس المراد الأُولى لاشتراك النبي وأهل بيته مع الآخرين في التكاليف الشرعية، إنّما المقصود الثانية لمكان (إنّما) الدالة على الحصر والقصر، وإختصاص الطهارة الباطنية بهم، والمراد من كونهم في ذاتهم مطهرون معصومون ليس بالجبر والقهر، حتّى ينتفي فضل العصمة عنهم، بل بمعنى لوازم الوجود، ومن الذاتي الكلامي ـ كما مرّ تفصيل ذلك ـ فهي من قبيل العصمة عند العاقل التي تمنعه معرفته وعلمه بالمبادئ الفطرية، أن لا يخرج عارياً إلى الشوارع وفي الأسواق، أو يأكل القذارات مع قدرته على ذلك، فالمعصوم يملك لياقة ذاتية موهوبة من قبل ربّه، ليكون قدوة وأُسوة للآخرين، كما يملك قابلية ولياقة إكتسابية من خلال طاعاتهم وأعمانهم وملكاتهم النفسيّة، وما يفعلوه بالاختيار، فالموهبة الالهية توفر لهم القابلية لترك الذنوب، لا إلى حدّ الالجاء

والقهر والمحال العقلي، بل من باب المحال العادي، فان المؤمن عادة يستحيل عليه أن يستصحب معه الخمر إلى بيت الله الحرام وفي داخل الكعبة، وإن كان قادراً عقلاً وذاتاً عليه، فاستحالته ليست عقلية حتى يلزم الجبر، فالمعصوم من الأنبياء والأئمة كذلك، يمتنع عليهم الذنب عادة لا عقلاً، وهذا لا ينافي الاختيار، إنّما هو نتيجة الاختبار، والنجاح في الامتحانات الالهية، كما يشير القرآن الكريم في قصة ابراهيم الخليل عليه السلام، فان الله سبحانه إنّما جعله إماماً بعد أن إبتلاه ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

وفلسفة عصمة الأنبياء عليهم السلام فإن ذلك بإعتبار ما يبتليهم الله بالمحيط الفاسد والملوّث بالشرك والمعاصي، فلابد من لطف إلهي خاص يعصمهم من الذنوب، ليكون حجة الله على الخلق.

كما أشار إلى ذلك الإمام الرضا عليه السلام: «هو معصوم مؤيّد موفّق مسدّد، قد أمن الخطايا والزلل والعثار، يخصّه الله بذلك ليكون حجة على عباده، وشاهده على خلقه»[2].

ولا يخفى إنّما عبّر القرآن الكريم بقوله (إنّما يريد الله) بصيغة



---

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الكافي: ١: ٢٠٣.

المضارع لا الماضي فيلزم أن يكون من تحصيل الحاصل، لأن هذا من بلاغة القرآن الكريم، فانه يطلق على الأمور التي تتعلّق بها الإرادة المستمرّة في الماضي والحاضر والمستقبل، فتدل على ثبات واستمرارية المشيئة والارادة كقوله تعالى: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ﴾ فليس المعنى إنّه في المستقبل أو الحاضر لا يريد ظلماً، حتى يكون مفهومه في الماضي يريد ذلك، بل بمعنى أنّ الإرادة في عدم الظلم ثابتة في الماضي والحاضر والمستقبل، ومنه قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ .

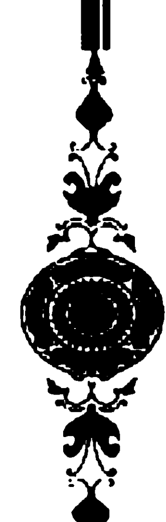
ثم الشريعة السماوية ليست مجرد نظريات ومفاهيم، بل لها واقع عيني يجسد ويطبق النظريات، وذلك من خلال أشخاص يكونون القدوة والاسوة والمشاعل الوضّاءة في حياه الناس ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [١] ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [٢] ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [٣] ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً﴾ [٤] فلو كان المعصوم غير

---

(١) الأحزاب: ٢١.
(٢) الأنعام: ٩٠.
(٣) الفاتحة: ٦ ـ ٧.
(٤) النساء: ٦٩.

مختار في فعله فكيف يقتدىٰ به؟! (فبهداهم إقتده).

ولا إشكال ولا تنافي بين دعاء النبي ﷺ في قصة الكساء وحديثه الدّال على الطلب والتجدّد: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً» وبين الارادة التكوينية الدال على الثبوت والأزليّة، فان الدعاء لإدامة الفيض الإلهي وعدم إنقطاعه، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[2] وحصول الشيء عند الانسان لا يعني الاستغناء عن الله تعالى في دوامه وإستمراريته، بل الانسان فقير إلى ربّه مطلقاً، لإمكانه الذاتي، ولكون ربه الغني واجب الوجود لذاته، فمن الأدب الإلهي أنّ النبي لا يرى لنفسه إستقلالاً وغناءً عن رحمة ربّه، فيطلب إستمراريّة ما أنعم عليه من اللّطف الخفي والجليّ، كالعصمة وغيرها، كما أنّ العصمة من الكلي التكشيكي يزداد في المراتب والدرجات، كالعلم الذي منشأ العصمة، فتدبّر، فالى هذا المعنى جاء في زيارة الجامعة الكبرىٰ: «فَبَلَغَ اللهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكَرَّمِينَ، وَأَعْلىٰ مَنازِلِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَرْفَعَ دَرَجاتِ الْمُرْسَلِينَ، حَيْثُ لا يَلْحَقُهُ لاحِقٌ، وَلا يَفُوقُهُ فائِقٌ،



(١) الشورى: ٥٢.

(٢) الفاتحة: ٦.

وَلاَ يَسْبِقُهُ سَابِقٌ، وَلاَ يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ» «عَصَمَكُمُ اللهُ مِنَ الزَّلَلِ، وَآمَنَكُمْ مِنَ الْفِتَنِ، وَطَهَّرَكُمْ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَذْهَبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ، وَطَهَّرَكُمْ تَطْهِيراً».

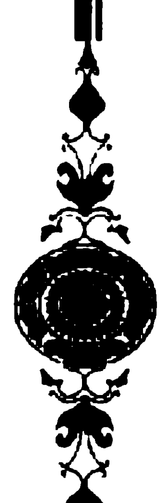
ثم آية التطهير إنّما نزلت في مواضع كقصة المباهلة، وقصة الكساء حيث جمع النبي الأعظم محمد ﷺ بنته وصهره وسبطيه تحت كساء يماني، فاجتمع تحته من كان معصوماً مرت على نبوّته وبعثته عدّة سنوات، وهو الرسول الأعظم ﷺ، وعلى إمام لم يعلن بيعته للإمامة بعد، وعلى القدسيّة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وعلى الحسنين اللذين لم يبلغا الحلم، وهذا الإجتماع يدلّل على شمولية العصمة والتطهير من الرجس لجميع الحالات فليست مختصة بالتبليغ، كما ليست مختصّة بالرّجال، كما إنّها قبل الإمامة الفعليّة أي حين الإمامة الشأنيّة ـ إن صحّ التعبير من باب التسامح وتقريب المعنى ـ فتدبّر.

من هم أهل البيت عليهم السلام؟

إن أهل البيت عليهم السلام في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يطلق ويراد به أحد المعاني الأربعة:

الأوّل: أهل البيت عليهم السلام بالمعنى الأخص: وهم أصحاب الكساء الخمسة: فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها الحسن والحسين عليهم السلام.

الثاني: بالمعنى الخاص: وهم الأئمة الأطهار مع أبيهم حيدر الكرار وجدهم النبي المختار، وأمّهم فاطمة الزهراء عليهم السلام ويدل عليه حديث السفينة «**مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجىٰ ومن تخلّف عنها غرق وهوى**».



الثالث: بالمعنى العام: وهم ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام.

الرابع: بالمعنى الأعم: وهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام، كسلمان (سلمان منّا أهل البيت) فكان عالماً فكان من أهل البيت،

كما ورد عن الإمام الصادقعليه السلام.

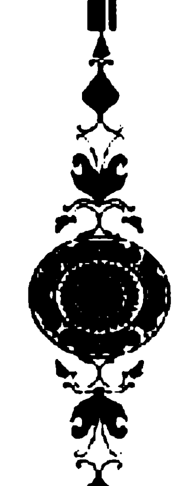
فالمراد من أهل البيت في الآية الكريمة ليس نساء النبي كما ذهب إليه أكثر المفسرين من أبناء العامة، فان السنة الشريفة وشأن نزول الآية تشهد ببطلان هذا القول، فان النبي صلى الله عليه وآله قال لزوجته امّ سلمة عند ما أرادت أن تدخل تحت الكساء (إنّك على خير) ومنعها من الدخول.

وأما إنّ الاية نزلت في ضمن أحكام نساء النبي صلى الله عليه وآله فهذا من بلاغة القرآن، للإشعار بأمر هام، ولا يمكن أن يتلاعب به أو يحرّف، كما إنّ من عادة العرب الانتقال من خطاب إلى خطاب آخر، وكذلك آيات القرآن ففيها ما كان أولها لبيان حكم وآخرها حكم آخر، كما لو أُريد النساء لكان المفروض أن يقول سبحانه (عنكن ويطهركن) كما في الآيات السابقة واللاحقة، دون (عنكم ويطهركم) فهذا من القرينة الواضحة على المراد، كما لا يمكن إرادة جميع زوجات النبي أو غيرهن من أقرباء النبي كما قيل، للعلم والقطع بعدم عصمتهم وبارتكابهم الذنوب كخروج عائشة على إمام زمانها أميرالمؤمنين وخليفة رسوله الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام، كما في آية التحريم ما يدل على عدم عصمتها وعصمة صاحبتها حفصة، كما كانت عائشة تؤذي النبي عند ما تغار على أم المؤمنين

خديجة عليها السلام وقال رسول‌الله (غيرة المرأة كفر) والقرآن يصرّح عقاب من يؤذي النبي صلى الله عليه وآله، وقد ضربها أبوها حتى سال دمها عند ما قالت لرسول‌الله (إعدل) فكيف تدخل مثل هذه في آية العصمة والطهارة؟!

أنصف فإن الإنصاف من الدين... وهل الدين في أصوله وفروعه وأخلاقه إلّا الإ نصاف؟!...

كما إنَ النبي صلى الله عليه وآله ليقطع نزاع القوم من بعده، فإنه وإلى ستة أشهر وقيل إلى سنة أو أكثر بعد نزول الآية الشريفة كان يأتي إلى دار فاطمة عليها السلام كل يوم عند الصلوات ويقول: «السلام عليكم يا أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» وهذا من باب التخصيص في مصداقيّة الآية الكريمة. كما ان جميع المفسرين والمؤرخين لم يذكروا ان واحدة من النساء دخلن تحت الكساء، إلّا أُم سلمة أرادت الدخول، فمنعها النبي قائلاً: (أنت على خير)[١].



وهناك أكثر من سبعين مصدراً من مصادر العامة المعروفة، تصرّح بأن آية التطهير محصور في الخمسة أصحاب الكساء، وأما من طرق أصحابنا الأماميّة فتزيد على الألف.

---

(١) صحيح مسلم: ٤: ١٨٨٣؛ صحيح الترمذي: ٥: ٣٥١؛ الدر المنثور: ١٩٩؛ ينابيع المودة: ١٠٧؛ مسند أحمد بن حنبل: ٦: ٢٩٢؛ روح المعاني: ٣: ١٦٧ والفخر الرازي: ١: ٣٧٠.

وذكر الحسكاني من علماء العامة أكثر من مأة وثلاثين حديثاً في هذا المضمار.

كما إنّ المراد من أهل البيت العصبة التي تحرم عليهم الصدقة، ولا تحرم على نساء النبي ذلك.

ثم الآية الشريفة وإن نزلت في الخمسة أصحاب الكساء ﮽ ، إلّا أنّها تعمّ المعصومين الأئمة التسع من ولد الحسين ﮼ فاولئك الأطهار من أهل بيت رسول الله ﷺ أيضاً. لوحدة الملاك وللنّص المتواتر المفيد للقطع.

تنبيه هام: إنّ الآية الكريمة في موضعها، لتدفع توهم من يتوهّم بأنّ فاطمة الزهراء كباقي النسوة كنساء النبي ﷺ يمكن أن تخطأ وتصيب. فان الله برئها وطهّر ساحتها من كلّ رجس ونجس ومن كلّ خطأ وشين، وإنّها معصومة بعصمة الله جلّ جلاله كأبيها وبعلها وبنيها، فدّلت الآية على عصمتهم جميعاً، فتدبّر.

(٤)
آية المباهلة

من الآيات الدالّة على عظمة أهل البيت عليهم السلام وعصمتهم آية المباهلة في قوله تعالى: **﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾**[1].

وذلك عند المباهلة مع نصارى نجران، فإنّ الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله باهلهم بأهل بيته الطاهرين، على وفاطمة والحسنان عليهم السلام لا بغيرهم من كبار أصحابه وعشيرته ونسائه وذوي قرباه الآخرين، وكانوا بمرئى ومسمع منه، فلم ينتدب واحداً منهم مع إنتدابهم إليها، فخرج وعليه مرط من شعر أسود وإحتضن الحسنين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمش خلفه وعلي خلفها،


(١) آل عمران: ٦١.

وهو يقول: إذا انا دعوت فأمّنوا، فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى: إنّي لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً لازاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة[١].

قال العلامة الأجل السيد شرف الدين العاملي ﷺ: بخ بخ إنّ من وقف على هذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي رهقت أعلام نجران وممثلي دينها ودنياها بمجرد أنْ برز أصحاب الكساء لمباهلتهم، يعلم إنّ لمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم جلالة ربانية تغشي الأبصار ومهابة روحانية يخفض لها جناح الذل والصغار[٢].

أخرج الدارقطني إنّ علياً يوم الشورى إحتج على أهلها فقال لهم: أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله ﷺ في الرّحم منّي ومن جعله ﷺ نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه غيري ؟ قالوا:

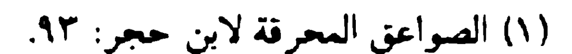
---

(١) راجع: الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ج١: ص١٢٠ ـ ١٢٩ ومسلم في صحيحه: ٧: ١٢٠ والطبري في تفسيره ٣: ٣٠٠ وأبا نعيم في دلائل النبوة: ص٢٩٨ والترمذي في جامعه: ٥: ٦٣٨ والحاكم النيسابوري في مستدركه: ٣: ١٥٠ والدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ٢: ٣٩ وابن كثير في تفسيره: ١: ٣٧٠ والرازي في تفسيره الكبير: ٨: ٨٠ واللفظ الأخير وهو حديث متواتر نقله جميع المفسرين من غير استثناء، وكذلك أصحاب الجوامع الحديثية وأرباب السير والتاريخ اجماعياً عن (مناقب الزهراء: ١٠).

(٢) الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء للسيد شرف الدين العاملي ﷺ: ٧.

اللهم لا[١].

ويا ليت القوم أنصفوا علياً عليه السلام والعجب قد اعترفوا بالحق إلّا إنّهم عدلوا عنه واتبعوا الباطل، فاقرء ما يقوله إمامهم فخر الرازي نقلاً عن محمود بن الحسن الحمصي: إنّ الآية الكريمة تدل على إنّ علياً أمير المؤمنين عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله قال: والذي يدل عليه قوله تعالى: (وأنفسنا وأنفسكم)، إذ ليس المراد نفس محمد صلى الله عليه وآله لأن الانسان لا يدعو نفسه ـ فهذا أمر غير معقول ـ بل المراد به غيره، وأجمعوا على إنّ ذلك الغير كان علي بن أبي طالب عليه السلام فدلّت الآية على إنّ نفس علي هي نفس محمد عليهما السلام، ولا يمكن أن يكون المراد ان هذه النفس هي عين تلك النفس فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه، نعم ترك العمل بهذا العموم في خصوص النبوة وفي حق الفضل، لقيام الدلائل على إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان نبيّاً ولم يكن علي نبيّاً، وقد إنعقد الاجماع على انّ محمداً صلى الله عليه وآله كان أفضل من علي عليه السلام، فيبقى فيما عدا ذلك معمولاً به، فعليّ متساوٍ مع محمد صلى الله عليه وآله في جمع الوجوه ـ ومنها العصمة الذاتية الكليّة ـ ما عدا هذين الوجهين ـ النبوة والفضائل ـ ثم الاجماع قائم على أنّ



(١) الصواعق المحرقة لابن حجر: ٩٣.

محمداً ﷺ كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام فيلزم أن يكون علي عليه السلام أفضل من سائر الأنبياء أيضاً.

ثم قال: ويؤيد هذا الاستدلال الحديث المقبول عند الموافق والمخالف[١] وهو قوله ﷺ: (من أراد أن يرى آدم، في علمه ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلّته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام).

فالحديث دل على إنّه إجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدل على انّ علياً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد ﷺ.

وبطريق أولى هو أفضل من جميع الصحابة وما قيل من إنعقاد الاجماع على أن كل نبي أفضل من غيره، ولم يكن علياً نبياً فهو مردود، فانه لا إجماع، بل النبي أفضل من جميع أفراد أُمته بالخصوص لا مطلقاً، فربما يكون في سائر الامم من هو أفضل من نبي أمة أُخرى، كما تحقق ذلك في علي عليه السلام بدلالة هذه الآية الكريمة وغيرها وأحاديث كثيرة لا تخفىٰ على المتتبع[٢].

وقد ورد في الحديث النبوي الشريف عند الفريقين: علماء أُمتي

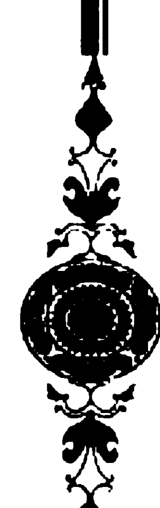
---

(١) رواه بن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٢: ٢٨ وفي شواهد التنزيل وابن أبي الحديد في شرح النهج: ٢: ٤٤٩ وذخائر العقبى للطبري: ٩٣ والرياض النضرة: ٢: ٢١٧ والبداية والنهاية: ٧: ٣٥٦ وراجع الغدير: ٣: ٣٥٥.

(٢) مناقب الزهراء: ١٢.

كأنبياء بني اسرائيل، وفي آخر: أفضل من أنبياء بني إسرائيل، فتدبّر.

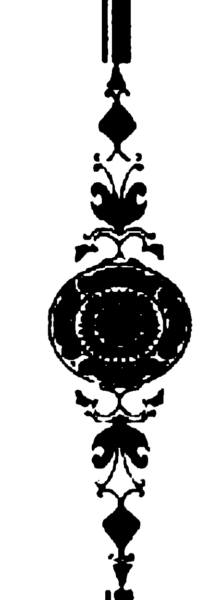
ثم كل ما يقال في أميرالمؤمنين علي عليه السلام بالدلالة المطابقية فانه يدل على فاطمة الزهراة بالالتزام، وكذلك العكس، لأن علي كفو فاطمة، كما ورد في الحديث الشريف: (لو لم يكن علي لما كان لفاطمة كفو آدم ومن دونه)، فاذا كان علي عليه السلام نفس الرسول صلى الله عليه وآله، فان فاطمة روحه التي بين جنبيه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله، فكلّهم في مقام النورانية بمنزلة واحدة، وحقيقة واحدة، ونور واحد، فأوّلهم محمد وأوسطهم محمد وآخرهم محمد وكلّهم محمّد عليهم صلوات الله أبدالآبدين، وهذا يعني الحقيقة المحمدية التي هى الصادر الأول من الباري عزوجل، والذي يعبّر عنه بالعقل الكل مرّة، وبالرّوح الالهية أُخرى، وبالنور ثالثة، وبالماء في حديث رابع، وبالقلم في حديث خامس، وكل واحد باعتبار جهة من جهات خلقه النوري، فلا منافاة في الأحاديث الشريفة بعد تعدّد الجهات والاعتبارات، كالشمس الواحدة ذات الاشعة المختلفة والمتلوّنة.



فعصمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين في الدنيا والآخرة فاطمة الزهراء الصديقة الشهيدة، ممّا لا ينكر لمن كان له

قلب والقى السمع وهو شهيد.

نعم من لم يعرفها بمعرفة كمالية يتصورها إنّها امرأة عادية ليست ليد الغيب في تكوينها وصنعها ورفع منزلتها وصيانتها بالعصمة الذاتية، كما كانت في الأنبياء وفي مريم العذراء، دخل وتصميم، ولا ضير في ذلك، فان فوق كل ذي علم عليم، وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلاً ، فاتّقوا الله يعلمكم الله جل جلاله، ولا حوّل ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم، والحمدلله ربّ العالمين.



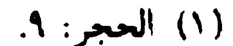
العصمة في السنة الشريفة

إنّ القسم الثاني من الأدلّه السمعية ما ورد في نصوص السنّة والأحاديث الشريفة الصادرة عن الرسول الأعظم ﷺ والعترة الطاهرة عليهم السلام نشير إلى بعضها لترسيخ العقيدة في النفوس ولزيادة البصيرة:

١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهجه البليغ والشريف في وصف آل محمد الأطهار عليهم السلام: «وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم، وهم أزمة الحق وأعلام الدين وألسنة الصدق فأنزولهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش».

ولما كان القرآن معصوماً كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1] فكذلك العترة الطاهرة.

والى هذا أشار شارح النهج ابن أبي الحديد المعتزلي فقال: فأنزولهم



(١) الحجر: ٩.

بأحسن منازل القرآن تحته سرّ عظيم، وذلك أنه أمر المكلّفين بأن يجروا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد لها والطاعة لأوامرها مجرى القرآن.

ثم قال: فان قلت: فهذا القول منه يشعر بأن العترة معصومة، فما قول أصحابكم -يعني بهم القائلين بمذهب الاعتزال- في ذلك؟

قلت: نص أبو محمد بن متويه في كتاب الكفاية: على إنّ علياً عليه السلام معصوم وأدلّة النصوص قد دلّت عل عصمته، والقطع على باطنه ومغيبه، وأن ذلك أمر إختص هو به دون غيره من الصحابة.

٢ -في خصال الصدوق وخامس البحار في كتاب النبوة بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: إن أيوب عليه السلام أُبتلى سبع سنين من غير ذنب، وإن الأنبياء عليهم السلام لا يذنبون لأنهم معصومون مطهّرون لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً، لا صغيراً ولا كبيراً.

وقال: إنّ أيوب عليه السلام من جميع ما ابتلى به لم تنتئن له رائحة، ولا قبحت له صورة ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح ولا استقذره أحد راه ولا استوحش منه أحد شاهده ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عزوجل بجميع من يبتليه من أنبياءه المكرمين عليه، وإنّما اجتنبه الناس لفقره وضعفه في ظاهر أمره، لجهلهم بما لديه عند ربه تعالى من التأئيد والفرج.

وقد قال النبي ﷺ أعظم الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وإنّما ابتلاه الله عزوجل بالبلاء العظيم الذي يهون معه على جميع الناس لئلا يدعوا له الربوبية إذا شاهدوا ما أراد الله ان يوصله إليه من عظائم نعمه تعالى متى شاهدوه، وليستدلّوا بذلك على أنّ الثواب من الله تعالى على ضربين: إستحقاق وإختصاص، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا أنّه يسقم من يشاء، ويشفي من يشاء، متى شاء، كيف شاء، بأي سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء، وشقاوة لمن شاء، وسعادة لمن شاء، وهو عزوجل في جميع ذلك عدل في قضائه، وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلّا الأصلح لهم، ولا قوة لهم إلّا به.

٣ـ وذكر القندوزي الحنفي في ينابيعه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون تاسعهم المهدي المنتظر[١].

٤ـوفي فرائد السمطين: عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث في معرفة الإمام قال: هو معصوم مؤيّد موفق مسدّد، قد أمن الخطايا والزلل والعثار يخصّه الله بذلك ليكون حجة على عباده، وشاهده على


(١) ينابيع المودة: ٢٥٨.

خلقه[١].

٥ ـ وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله إنّما أمر بطاعة رسوله لأنّه معصوم مطهر لا يأمر بمعصية الله، وإنّما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهّرون لا يأمرون بمعصية الله. فهم أولوا الأمر والطاعة لهم مفروضة من الله ومن رسوله، لا طاعة لأحد سواهم كما في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ »[٢].

٦ ـ عن كتاب (النصوص) بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر عن أُمّ سلمة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لما أُسري بي إلى السماء نظرت فإذا مكتوب على العرش: لا اله الّا الله محمد رسول الله أيّدته بعلي ونصرته بعلي، ورأيت أنوار علي وفاطمة والحسن والحسين وأنوار علي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي، ورأيت نور الحجة يتلألأ بينهم كأنه كوكب دريّ، فقلت: يا ربّ من هذا ومن هؤلاء؟ فنوديت: يا محمد هذا نور علي وفاطمة، وهذا نور سبطين الحسن والحسين، وهذه أنوار الأئمة بعدك من

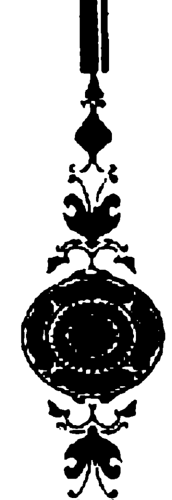
---

(١) الكافي: ١: ٢٠٣.
(٢) احقاق الحق: ٣: ٧٨.

ولدك الحسين عليه السلام مطهرون معصومون، وهذه أنوار الحجة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[١].

٧ـ ما رواه الصدوق في كتاب العلل في باب العلّة التي من أجلها صارت الإمامة في ولد الحسين عليه السلام دون الحسن عليه السلام بسنده عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: أُكتب ما أُملي عليك قال عليه السلام: يا نبي الله أو تخاف عليّ النسيان؟ فقال صلى الله عليه وآله: لست أخاف عليك النسيان وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك قال عليه السلام: ومن شركائي يا نبي الله؟ قال صلى الله عليه وآله: الأئمة من ولدك[٢].

٨ـ الحديث المشهور بين الفريقين ـ السنة والشيعة ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (صلّوا كما رأيتموني أُصلّي) وقال: (خذوا عني مناسككم) وهذا الأمر بالاقتداء والتأسي لو جاز معه السهو أو الخطأ أو النسيان، لاحتمل الاشتباه في الصلاة والمناسك أو حتى النسخ لهما، فلا نهتدي إليهما، وهذا يلزمه تضييع لعمود الدين وعزّ الإسلام، وهما الصلاة والحج، وكذلك باقي الأحكام والوظائف الدينيّة.



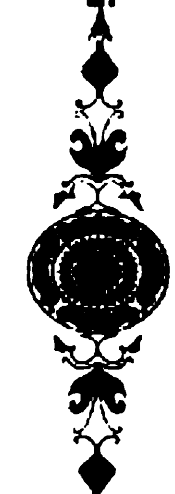
(١) كفاية الأثر: ١٨٥ والبحار: ٣٦: ٣٤٨.
(٢) العلل: ١: ٢٠٨.

٩ ـ البحار عن إكمال الدين والعيون عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون.

١٠ ـ البحار بسنده عن سعد بن عبدالله القمّي قال: سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلّة الّتي تمنع القوم من اختبار إمام لأنفسهم، قال: مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح، قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح أو فساد؟ قلت: بلى، قال: فهي العلّة، أيّدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك؟ قلت: نعم، قال: أخبرني عن الرّسل الذين اصطفاهم الله وأنزل عليهم الكتب، وأيّدهم بالوحي والعصمة إذهم أعلام الأُمم وأهدى أن لو ثبت الاختيار، ومنهم موسى وعيسى عليهما السلام، هل يجوز مع وفور عقلهما وكمال علمهما إذ اهمّا بالاختبار أن تقع خيرتهما على المنافق وهما يظنان أنّه مؤمن؟ قلت: لا، قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله وكمال علمه ونزول الوحي عليه اختار من أعيان قومه ووجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلاً، ممّن لم يشك في إيمانهم وإخلاصهم، فوقعت خيرته على المنافقين، قال الله عزّ وجل: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ

سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا﴾ [1] الآية، فلمّا وجدنا إختيار من قد اصطفاه الله للنبوة واقعاً على الأفسد دون الأصلح، وهو يظن أنه الأصلح دون الأفسد، علمنا أن لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفى الصدور، وما تكنّ الضمائر وتنصرف عنه السرائر، وأن لا خطر لاختيار المهاجرين والأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوي الفساد لما أرادوا أهل الصلاح.

أقول: ما أروع ما قاله مولانا وإمام زماننا بقيّة الله الأعظم عليه السلام وهو في حجر أبيه صغيراً، فإنه من بيت الوحي والعصمة. فلمّا يسأله سعد القمي عن سبب أن يكون الإمام والخليفة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله منصوباً عليه من الله، ولا يصحّ ان يقع الاختيار عليه بيد الناس ولا أهل الحلّ والعقد، فأجابه الإمام عليه السلام بجوابين: حلّي ونقضي.



أما الأوّل: فهو من البرهان والدليل العقلي والفطري الوجداني، أنه ياترى هل يكون الاختيار من بعد رسول الله لرجل مصلح أم مفسد؟ بلا شك كل عاقل يقول بكونه مصلحاً، لان اختيار المفسد من الظلم، والظلم قبيح، واختيار المصلح من العدل والعدل حسن، فيسأل الإمام عليه السلام مرة أخرى، يترتّب مقدّمات من صغرى وكبرى،

(١) الأعراف: ١٥٥.

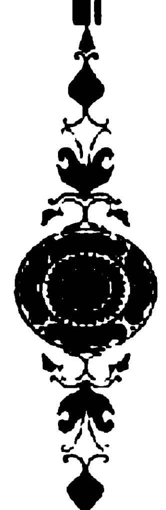
حتّى يصل إلى النتيجة البديهيّة، فيسأل هل يمكن أن يقع إختيارهم على شخص مفسد، لأنّه لا يعلم أحد ما يخطر في ذهن وبال الأُخر من صلاح أو فساد لكونه غير معصوم كما هو المفروض؟ بلا شك يمكن أن يقع الاختيار على شخص مفسد أو يحتمل منه الفساد لعدم عصمته، فيلزم حينئذٍ أن يختار من بعد رسول الله رجل فاسد أو يصدر منه الفساد، فكيف يطاع ويقتدى به حينئذٍ ؟! وهذا هو العلّة والسبب للقول بان الخليفة من بعد رسول الله لابد ان يكون منصوصاً عليه من الله، وأن يكون معصوماً، ولمّا لم يعلم عصمته إلّا الله سبحانه فلابدّ من النّص عليه. وهذا من البرهان الّذي يقبله كل عاقل منصف غير متعصب ولا مقلّد لآبائه، وبنظري كل مسلم ومسلمة من أي مذهب من المذاهب الإسلاميّة المختلفة في عقائدها وفقهها وأحكامها عند ما يقرء هذا الاستدلال المهدوي الهادوي فانه يستبصر في دينه ومذهبه ويرجع إلى أهل البيت عليهم السلام في اتباعهم وولايتهم وطاعتهم مطلقاً، نعم منهم مَن كان أعمى القلب ولا يرى الحق والحقيقة وكان معانداً ومكابراً، فإنه ولو أقيم له ألف دليل ودليل فإنه لا يزال معانداً ومكابراً ولجوجاً كابليس ﴿أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1] .

---

(١) البقرة: ٣٤.

ثم الوجه الثاني في مقام الاستدلال بطريق نقضي: أنّ الإمام أرجعه إلى قضيه واقعيّة أشار القرآن الكريم إليها، وذلك في قصة موسى واختيار جمع من قومه وقد وقع إختياره على الأفسد، فإذا كان النبي مع وفور عقله وكمال علمه يختار من الناس من لا يصلح، فكيف يختار غيره، وقد علمنا أن لا اختبار لا يعلم ما تخفى الصدور، فلا يمكن لنا أن نصحّح إختيار المهاجرين والأنصار لفلان وفلان بعد وقوع خيرة الأنبياء من أُولى العزم على ذوي الفساد، لمّا أرادوا أهل الصلاح؟!!

والشاهد من الخبر قول الإمامعليه السلام: في وصف الأنبياء: «وأيّدهم بالوحي والعصمة إذ هم أعلام الأُمّة» ولما كان الإمام من بعد رسول‌الله عَلَم الأُمّة فلابدّ ان يكون مؤيّداً بالعصمة. وأما الوحي فقد انقطع من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «لا نبي بعدي».



١٠ ـ معاني الأخبار شيخنا الصدوق رحمه الله بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام قال: الإمام منّا لايكون إلاّ معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، ولذلك لا يكون إلاّ منصوصاً، فقيل له: يابن رسول الله صلى الله عليه وآله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لايفترقان إلى يوم القيامة والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزّوجلّ ﴿إنَّ هذا

القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1].

بيان الخبر: أوّلاً: العصمة من الأمر واللّطف الخفي في الإمام المعصوم عليه السلام.

وثانياً: لا يعلم هذا الخفي إلاّ من وضعه فيه وهو الله سبحانه وتعالىٰ، ومن ثمّ كان على الله سبحانه من لطفه أ ينصّ عليه.

وثالثاً: أنّ معنى العصمة في الإمام المعصوم عليه السلام هو أن يعتصم بحبل الله أيّ القرآن الكريم، ومعنى ذلك أنّ معصوميّته بسبب إعتصامه بالقرآن وعدم مفارقته عنه، فانّ القرآن يتجسّد به، فإنّهما حقيقة واحدة، وهي الولاية الإلهية في تشريعها وتكوينها، وكلّ ما يدلّ على القرآن الكريم بالمطابقة يدلّ على الإمام بدلالة الالتزام، وكذلك العكس، فانّها عن يقترفا في كلّ شيء من بدو الخلق وإلى يوم القيامة، فمتى كان القرآن كان الإمام، ومتى كان الإمام كان القرآن، وكلّ واحد يهدي إلى الآخر فانّه إلاّ قوم والمستحكم في نفسه.

١١ ـ أيضاً معاني الإعتبار[2] بسنده عن حسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم: ما معنى قولكم: «إنّ الإمام لا يكون إلاّ معصوماً» فقال سألت أباعبدالله عليه السلام عن ذلك؟ فقال: المعصوم هو الممتنع بالله

(١) الإسراء ١٧: ٩.
(٢) معاني الأخبار: ١٣٢.

من جميع محارم لله، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١].

١٢ ـ حديث الثقلين المتواتر عند الفريقين عن رسول الله ﷺ قال: إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض[٢].

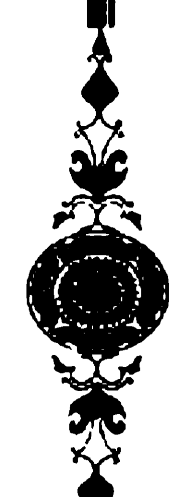
فان الحديث يدل بوضوح على عصمة الائمة عليهم السلام بوجوه:

الأوّل: من كون القرآن معصوماً ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[٣] فكذلك عدله الشريف، وهو العترة الطاهرة، لكونهما لن يفترقا.

الثاني: وللتّمسك بهما مطلقاً فيلزم عصمتهما.

الثالث: ولعدم الضلال بالتمسك بهما مطلقاً ـ لمكان (لن) المفيدة للتأبيد.

(فيدل الحديث الشريف على عصمة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة عن مطلق الذنوب والسهو والخطأ والنسيان، فان النّفي التأبيدي



---

(١) آل عمران ٣: ١٠١.

(٢) ذكرت تفصيل الحديث سنداً ومتناً في كتاب (في حديث حديث الثقلين) فراجع: الموسوعة الكبرى (رسالات إسلاميّة).

(٣) الحجر: ٩.

بل(ن) للضلال الذي قد يصيب الأُمّة بترك إتّباع القرآن والتمسك بالعترة معاً، يسكت كل جدل، ويفحم كل مماحكةٍ حول التشكيك بعصمتهم المطلقة، فانه لو جاز عليهم ذلك كيف تحفظ وتصان الأُمّة من التهية والضلال والانحراف بالتمسّك بهم؟!

فالقول بعصمتهم عليهم السلام أصبح من ضروريات المذهب، ومن أهم تعاليم الدين، فان ساحة المعصومين الأئمة الطاهرين عليهم السلام بريئة من كل شين ورين، مصفاة من السهو والنسيان، نبّاعة بالخير والاحسان، فيّاضة بما يبقى الانسان، وان كان البحران على يد الرحمان يلتقيان، فأي شيء يخرج منهما سوى اللؤلؤ والمرجان)[1].

وهذا غيض من فيض في الأحاديث المتواترة والمفيدة للقطع والعلم واليقين، الدّالة على العصمة المطلقة للأنبياء والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

وإذا أردت التفصيل فكيفيك أن ترجع إلى بحارالأنوار للعلاّمة المجلسي قدس سره، ولا سيّما في المجلّد الخامس والعشرين من صفحة ١٩١ إلى ٢١١ باب (٥) (عصمتهم ولزوم عصمة الإمام عليهم السلام) وفي الباب ٢٣ رواية.

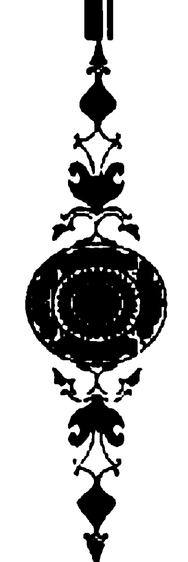
---

(١) اقتباس من كشف المحجوب (مخطوط).

وفي نهاية المطاف قال:

«إعتقادنا في الأنبياء والرّسل والأئمة عليهم السلام (والملائكة) أنّهم معصومون مطهّرون من كلّ دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى العصمة عنهم في شيء من أحوالهم فقد جهلهم (ومن جهلهم فهو كافر) واعتقادنا فيهم أنهم الموصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أعمارهم إلى آخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل»[1].

قال العلّامة المجلسي رحمه الله: قد مضى تحقيق العصمة ومزيد بيان في إثباتها وما يتعلق بها في باب عصمة النبي صلى الله عليه وآله فلا نعيدها. إنتهى كلامه رفع الله مقامه. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.



(١) اعتقادات الصدوق: ١٠٨ ـ ١٠٩.

الإجماع على عصمة الأئمّة عليهم السلام

وممّا يدل على عصمتهم وطهارتهم عليهم السلام إجماع الأُمّة على ذلك.

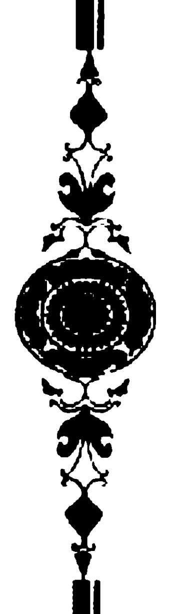
قال شيخنا الطبرسي رحمه الله في كتابه القيم (اعلام الورى) في مقام بيان الدلائل الدالّة على إمامة ائمتنا عليهم السلام [١]: ومما يدلّ على إمامتهم أيضاً إجماع الأُمّة على طهارتهم، وظاهر عدالتهم وعدم التعلّق عليهم أو على أحد منهم بشيء يشينه في ديانته مع إجتهاد أعدائهم وملوك أزمنتهم في الغضّ منهم، والوضع من أقدارهم، والتطلّب لعثراتهم، حتى كانوا يقربون من يظهر عداوتهم، ويقصون بل يحفون وينفون ويقتلون من يتعلّق بولايتهم أو يميل إليهم، وهذا أمر ظاهر عند من سمع بأخبار الناس.

فلولا إنّهم عليهم السلام كانوا على صفات الكمال من العصمة والتأييد من الله تعالى بمكان، وأنّه سبحانه منع بلطفه كل أحد من أن يتخرّص عليهم باطلاً، أو يتقوّل فيهم زوراً لما سلموا عليهم السلام من ذلك على الحدّ الذي

---

(١) البحار: ٢٧: ٣٣٨ عن اعلام الورى: ٣٨٦ ـ ٣٩٢.

شرحناه، فثبت المطلوب من القول بعصمتهم بإجماع أهل القبلة على إختلاف مذاهبهم وطوائفهم ومشاربهم، كما ثبتت العصمة بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، فما ينكرها ويردّها إلّا المكابر والجاهل أو من كان في قلبه مرض فزاده الله مرضاً، فماتوا بغيضهم، أعاذنا الله وإياكم وجميع المسلمين من ذلك.



العصمة في أقوال العلماء والمحدّثين

١ ـ في حديث مفصّل سُئل أبو محمد الفضل بن شاذان النيشابوري الفقيه المتكلم الثقة ﵀ فقيل له: ما الدليل على إمامة أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب﵇ ؟ فقال: الدليل على ذلك من كتاب الله عزوجل ومن سنة نبيه ﷺ ومن اجماع المسلمين... فبعد ذكر الكتاب والسنة يذكر الاجماع بوجوه ثلاثة وفي الوجه الأخير قال: إنّهم اجمعوا على إن علياً ﵇ كان بعد النبي ﷺ ظاهر العدالة واجبة له الولاية، ثم إختلفوا فقال قوم: كان مع ذلك معصوماً من الكبائر والضلال، وقال آخرون: لم يك معصوماً ولكن كان عدلاً برّاً تقيّاً على الظاهر، لا يشوب ظاهره الشوائب، فحصل الاجماع على عدالته﵇ واختلفوا في نفي العصمة عنه﵇ ثم أجمعوا جميعاً على أن أبابكر لم يكن معصوماً واختلفوا في عدالته فقالت طائفة: كان عدلاً، وقال آخرون: لم يكن عدلاً لأنه أخذ ما ليس له ـ أي الخلافة. فمن أجمعوا على عدالته اختلفوا في عصمته أولى

بالامامة وأحقّ ممّن اختلفوا في عدالته وأجمعوا على نفي العصمة عنه[1].

٢ ـ في حديث مفصل بين هشام وبريهة العالم النصراني قال بريهة: يا هشام ألك من تصدر عن رأيه فترجع إلى قوله وتدين بطاعته؟ أي يكون إمامك المفروض طاعته.

قال هشام: نعم يا بريهة.

قال: وما صفته؟

قال هشام: في نسبه أو دينه؟

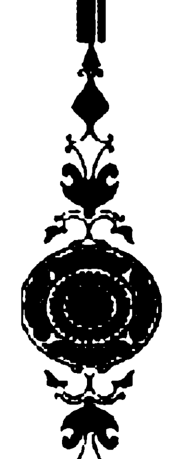
قال: فيهما جميعاً، صفة نسبه وصفة دينه.

فذكر هشام أوصافه في النسب، وفي وصف دينه.

قال هشام: أصف شرائعه أو أصف صفة بدنه وطهارته؟

قال: صفة بدنه وطهارته.

قال هشام: معصوم فلا يعصي، وسخي فلا يبخل، وشجاع فلا يجبن، وما استودع من العلم فلا يجهل، حافظ للدين، قائم بما فرض عليه من عترة الأنبياء وجامع علم الأنبياء... إلى آخر ما يقول[2].



---

(١) البحار: ١٠: ٣٧٧ عن الفصول المختارة: ١: ٧٧ و٧٨.

(٢) المصدر: ١٠: ٢٣٨ عن توحيد الشيخ الصدوق: ٢٧٨ ـ ٢٨٤.

٣ـ البحار بسنده عن إبن أبي عمير قال: ما سمعت ولا إستفدت من هشام بن الحكم في طول صحبتي إياه شيئاً أحسن من هذا الكلام في صفة عصمة الإمام، فإني سألته يوماً عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمة فيه؟ وبأي شيء يعرف؟ قال: إن جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص والحسد والغضب والشهوة، فهذه منتفية عنه.

لا يجوز أن يكون حريصاً على هذه الدنيا وهي تحت خاتمه، لأنه خازن المسلمين، فعلىٰ ماذا يحرص؟ ولا يجز أن يكون حسوداً، لأنّ الانسان إنما يحسد من هو فوقه، وليس فوقه أحد، فكيف يحسد من هو دونه؟

ولا يجوز أن يغضب لشيء من أمور الدنيا، إلّا أن يكون غضبه لله عزّ وجل، فان الله قد فرض عليه إقامة الحدود، وأن لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رأفة في دينه حتى يقيم حدود الله عزّ وجل.

ولا يجوز أن يتّبع الشهوات ويؤثر الدنيا على الآخرة، لأن الله عزوجل حبّب إليه الآخرة كما حبّب إلينا الدنيا، فهو ينظر إلى الآخرة، كما، ينظر إلى الدنيا، فهل رأيت أحداً ترك وجهاً حسناً لوجه قبيح؟ وطعاماً طيّباً لطعام مرّ؟ وثوباً ليّناً لثوب خشن؟ ونعمة

دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟[١].

قال شيخنا الصدوق في كتابه القيم (معاني الأخبار: ١٣٣) الدليل على عصمة الإمام: أنّه لمّا كان كلّ كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوهاً من التأويل، وكان أكثر القرآن والسّنة ممّا أجمعت الفرق على أنّه صحيح لم يغيّر، ولم يبدّل، ولم يزد فيه ولم ينقص منه محتملاً لوجوه كثيرة من التأويل، وجب أن يكون مع ذلك خبر صادق معصوم من تعمّد الكذب والغلط، مبنئ عمّا عنّى الله ورسوله في الكتاب والسّنة على حقّ ذلك وصدقه، لأنّ الخلق مختلفون في التأويل، كل فرقة تميل مع القرآن والسّنة إلى مذهبها. فلو كان الله تبارك وتعالى تركهم بهذه الصفة من غير مخبر عن كتابه، صادق فيه، لكان قد سوّغهم الاختلاف في الدين، ودعاهم إليه إذا أنزل كتاباً يحتمل التأويل وسنّ نبيه ﷺ سنّةً يحتمل التأويل وأمرهم بالعمل بهما، فكأنّه قال: تأوّلوا وأعملوا. وفي ذلك اباحة العمل بالمتناقضات، والاعتماد للحق وخلافه. فلمّا استحال ذلك على الله عزّوجلّ، وجب أن يكون مع القرآن والسنّة في كلّ عصر من يبين عن المعاني التى عفاها الله عزّوجلّ في القرآن بكلامه دون مايحتمله ألفاظ القرآن من التّأويل، ويبين عن المعاني التي عفاها


(١) البحار: ٢٥: ١٩٢.

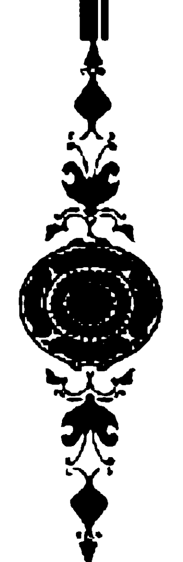
رسول الله ﷺ في سننه وأخباره دون التأويل الّذي يحتمله ألفاظ الأخبار المروية عنه ﷺ، المجمع على صحّة نقلها، وإذا وجب أنّه لابدّ من مخبر صادق، وجب أن لايجوز عليه الكذب تعمّداً ولا الغلط فيما يخبر به عن مراد الله عزّوجلّ في كتابه، وعن مراد رسول الله ﷺ في أخباره وسُننه، وإذا وجب ذلك وجب أنّه معصوم.

ثمّ يذكر مايؤيّد دليله بوجه آخر ويتعرّض إلى بعض شبهات المخالفين ويجيب عنها، وأنّه لولا القول بعصمة الأنبياء والأوصياء والأئمّة الطاهرين عليهم السلام من عترة النبي المصطفى محمّد ﷺ للزم ذلك الخروج من كلّ الدين فلابدّ من مترجم عن القرآن يعلمنا تأويله، ويجب أن يكون معصوماً ليجب القبول منه، وإذا وجب أن يكون معصوماً أن يكون هو الأئمّة بما عرف وعلم من اختلافها في تأويل القرآن والأخبار وتنازعها في ذلك، ومن تكفير بعضهم بعضاً، وإذا ثبت ذلك وجب أن يكون المعصوم هو الواحد الّذي ذكرناه وهو الإمام المعصوم من بعد رسول الله، ولاتكون العصمة الذاتية الكلية إلاّ في أئمتنا الاطهار عليهم السلام كما هو ثابت بالادلة القطعية البراهين العقلية والنقلية.

فقد دلّت الأدلّة العقلية والنقلية على أنّ الإمام لايكون إلاّ معصوماً، ومن المعلوم الواضح أنّ العصمة من الأمر الخفي في الإمام، فاذا

وجبت العصمة في الإمام لم يكن بدّ من أن ينعى الله عليه وينصبه النبي ﷺ من بعده، لأنّ العصمة ليست في ظاهر الخلقه، حتّى يعرفها الخلق بالمشاهدة، فواجب أن ينفى عليها علاّم الغيوب تبارك وتعالى على لسان نبيّه الأعظم محمّد ﷺ. وذلك لأنّ الإمام لايكون إلاّ منصوصاً عليه، وقد وضح لنا النص بما بيناه من الحجج، وبما رويناه من الاخبار الصحيحة، انتهى كلامه رفع الله مقامه[1].

هذه نماذج من أقوال القدماء من أعلامنا، وكيف كانوا يستدلون على لزوم العصمة في أئمتنا الأطهار عليهم السلام.



(١) مانقلنا اقتباس وخلافته مع تصرّف وبيان منّا من كتاب (جامع الأخبار: ١٣٣ـ ١٣٦).

أسباب العصمة

إن منشأ العصمة ـ كما عليه الأدلّة العقلية والنقلية ـ إنّما هو العلم والزهد والصبر.

قال العلامة الطباطبائي (رحمه الله) في تفسيره: الأمر الذي تتحقق به العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ وبعبارة أُخرى: علم مانع من الضلال[1].

وقال أيضاً: إنّ قوة العصمة لا تجب بطلان الاختيار وسقوط التكاليف المبنية علية فإنّها من سنخ الملكات العلميّة، والعلوم والادراكات لا تخرج القوى العاملة والمحركة في الأعضاء، والأعضاء الحاملة لها على استواء نسبة الفعل والترك إليها[2].

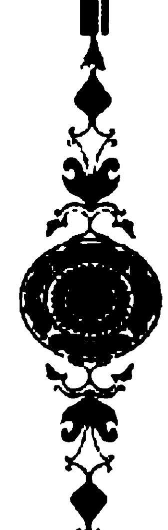
فالعصمة بنحو الاختيار وسببها العلم، فان الأفعال الاختيارية منشأها الصور العلميّة الكامنة في وجود الانسان، وهذا من الأمر

(١) الميزان: ٥: ٧٨.
(٢) الميزان: ٥: ٣٥٤.

البديهي والوجدان، فثمرة العلم العصمة، وبإختلاف درجات العلم تختلف درجات العصمة، كما يتفاوت الناس في الطاعات والمعاصي، بل ويختلف المرء نفسه فيجمع بين الطاعة والمعصية. لاختلاف العلم فيه الذي هو منشأ لصدور الأعمال.

(فاختلاف أفعالنا طاعة ومعصية لاختلاف علمنا الذي يصدر عنه الفعل، ولو دام أحد العلمين، أعني الحكم بوجود الجري على العبودية وإمتثال الأمر الالهي، لما صدر إلّا الطاعة، ولو دام العلم الآخر الصادر عنه المعصية ـ والعياذ بالله ـ لم يتحقق إلّا المعصية)[1].

وبالعلم تختلف دوافع ودواعي الأعمال العبادية أيضاً، فمنهم خوفاً من النار، ومنهم طمعاً بالجنة، ومنهم وجدوا الله أهلاً للعبادة، فعبدوه شوقاً وحبّاً وشكراً، وهي عبادة الأحرار والمحبّين والشاكرين.



فالعلم القطعي اليقيني ـ الذي لا ريب فيه ولا شك ـ بالعواقب الأُخروية للرذائل الاخلاقية والمعاصي والآثام، إنّما يخلق من صاحبه إنساناً مثالياً طاهراً مطهّراً حتّى يرى حقائق الأشياء ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾[2] كما ان التفاني في معرفة الله سبحانه والعلم اليقيني بمقام ربوبيته، تمنع العبد من مخالفته

---

(١) الميزان: ٢: ١٣٩.

(٢) التكاثر: ٥ ـ ٦.

ومعصيته، كذلك يفعل الحبّ الالهي بأهله:

عجبت لمن يدعي حبّ الله كيف يعصي الله، فان المحب لمن يحب مطيع.

ثم من كان علمه حضورياً وكليّاً من لدن حكيم، فعصمته مطلقة وكليّة ذاتية، كما في الأنبياء والأوصياء، وأما دونهم ممن لهم العلم الكسبي الحصولي، فمنهم من عصم بعصمة نسبيّة وجزئيّة أفعاليّة، فالعصمة ذات مراتب أفقية وعمودية فإنّها من الكلي التشكيكي، كما مرّ تفصيل ذلك.

فعلم الأنبياء والأوصياء من العلم الحضوري الذي تشهده النفس عياناً من دون واسطة حسيّة أو عقليّة، فيتّحد مع النفس، ولا تتطرّق إليه الغفلة ولا النسيان، وبه يرون ملكوت السماوات والأرض وما بينهما.

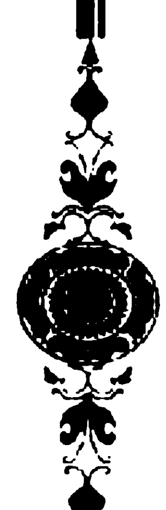
وقد أشار القرآن الكريم إلى أنّ العلم في الأنبياء هو السبب المانع من ضلالهم كما في قوله تعالى عن يوسف ﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [١] فالجهل يقود الانسان إلى هوى النفس، فيلزم أن يكون المانع من المعصية هو العلم، فالقوة القدسية المسماة بالعصمة الذاتية، هي من قبيل العلوم والمعارف.

---

(١) يوسف: ٣٣.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ لاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ـ من المنافقين ـ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً﴾[1] فزوّد الله نبيه ﷺ بالعلم، فجعله في حصانة تامة من الضلال والاضرار المعنوي به، أو منعه من تطبيق رسالته.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[2] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً﴾[3] ﴿وَلُوطاً آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً﴾[4] إشارة إلى عصمة الأنبياء والأوصياء بالعلم، وبهذا العلم أعطاهم الله سبحانه الولاية التكوينيّة أيضاً، كما يُحدّثنا القرآن الكريم عن ذلك في قصة سليمان وعرش بلقيس: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[5] فالقدرة الخارقة في إحضار العرش بأقل من طرفة عين، إنّما يرجع للعلم اللدني الخاص بالأنبياء والأوصياء ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾[6] ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[7] ﴿وَعَلَّمَكَ مَا



---

(١) النساء: ١١٣.
(٢) يوسف: ٢٢.
(٣) النمل: ١٥.
(٤) الأنبياء: ٧٤.
(٥) النمل: ٤٠.
(٦) الكهف: ٦٥.
(٧) الأعراف: ٦٢.

لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [١] ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ﴾ [٢]
وهذا بخلاف العلم الحصولي الكسبي الذي هو لعامة الناس، وإنه يحصل من الطرق المألوفة بكسب المعرفة: ﴿وَاللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٣].

ثم منشأ هذا العلم هو الوحي وروح القدس، فان الانسان إنّما هو روح وجسد، وعالم الروح من العوالم الغامضة، ومن الملكوت الأعلى قبل الداني والدنيا، بعوالم لا يعلمها إلّا الله سبحانه والراسخون في العلم: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [٤] ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ [٥].

وتبدأ الحياة الانسانية بروح وبدن[٦]، بعد تكوين الأعضاء الجسدية

---

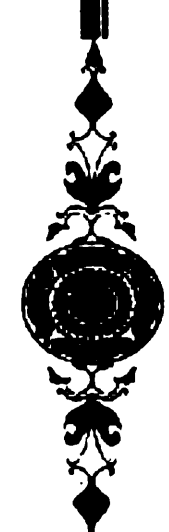
(١) النساء: ١١٣.
(٢) المائدة: ١١٠.
(٣) النحل: ٧٨.
(٤) الأسراء: ٨٥.
(٥) الحج: ٢٩.
(٦) الجسد الانساني هو كتلة مكونة من اللحم والعظم والدمّ يشترك في تكوينها: الأوكسجين بنسبة ٦٥٪ والبوتاسيوم بنسبة ٣٥٪ والكربون بنسبة ١٨٪ والكبرين بنسبة ٠/٢٥٪ والايدروجين بنسبة ١٠٪ والصوديوم بنسبة ٠/١٥٪ والأزوت بنسبة ٣٪ والكلور بنسبة ٠١٥/٪ والكلسيوم بنسبة ٣٪ والماغنسيوم بنسبة ٠/٥٪ والفوسفور بنسبة ١٪ والحديد بنسبة ٠/٤٪ ثم قليل من اليود والفلور والسليكون



ودخول الروح فيها، وتنتهي بالموت وبمارقة الروح للجسد.

فالانسان من منظار إسلامي إنّما هو مخلوق من روح وجسد، وجسمه مركب بتركيب مادي محكوم بالقوانين الطبيعيّة، فله حجم ووزن ويحيا في الزمان والمكان، ويتأثر بالعوامل المختلفة كالحرّ والبرد، والجوع والعطش، وينتهي إلى الكهولة والهرم تدريجياً حتى يضمحل ويتحلل بأمر من الله سبحانه، فكما وجد بأمره فإنه سوف يتلاشىٰ في يوم من الايام بأمره أيضاً، ليعود مرّة أُخرىٰ يوم القيامة.

أمّا الروح فهي ليست مادة طبيعيّة محكومة بالكون والفساد، بل تنطوي على صفات العلم والاحساس والارادة والفكر دون الخصائص المادية، وإنّها حاكمة على الجسد بكل جوارحه الداخلية والظاهريّة، فيخضع القلب والدماغ والأعضاء كلها في فعالياتها لحاكمية الروح والصفات الروحية.



فالروح مخلوق لله سبحانه، إلّا إنّه باعتبار عالم المادة يكون مجرداً عنها، فلا يجري عليها ما يجري على المادة من التجزئة والتقسيم والانحلال فليس فيها الابعاد الثلاثة من الطول والعرض والعمق، وقد خلقها الله سبحانه قبل عالمنا الدنيوي هذا بعوالم عديدة، ثم

- والفضّة والذهب، وكثير من الماء، بل ان ثلاثة أرباع الجسد من الماء (العالم غير المنظور: ٤١).

أهبطها إلى عالمنا الدنيوي لحكمة ربانية، وأدخلها في بدن الانسان ليتكامل ويحصل على كماله بهما معاً.

وفي روايات أئمتنا المعصومين عليهم السلام: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام»[١].

وكانت في الملأ الأعلى ولقربها من بارئها وخالقها كادت أن تدعي الربوبيّة، كما إدّعت في الأرض جهلاً وطغياناً، فقال فرعون ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾[٢] وقد غفل أنّ: أوله نطفة قذرة، وآخره جيفة نتنة، وأوسطه يحمل العذرة.

وفي الخبر الشريف عن عبدالله بن فضل الهاشمي قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: لأي علّة جعل الله تعالى الأرواح في الأبدان بعد كونها في الملكوت الأعلى في أرفع محل؟

فقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى علم أنّ الأرواح في شرفها وعلوها متى تركت على حالها نزع أكثرها إلى دعوى الربوبية دونه عزوجل، فجعلها بقدرته في الأبدان التي قدّر لها في إبتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها، وأحوج بعضها إلى بعض، وعلّق بعضها إلى بعض... إلى أن قال: ثم قال عليه السلام: يابن فضل إنّ الله تبارك وتعالى أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم، ألا ترىٰ إنّك لا ترىٰ فيهما الاّ محبّاً

(١) بحار الأنوار: ٦١: ١٣١ عن البصائر: ٣ـ٨٧ المصدر نفسه عن علل الشرائع.
(٢) النازعات: ٢٤.

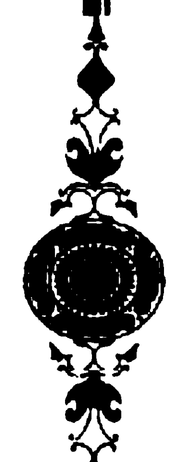
للعلو على غيره، حتى أنه يكون منهم لمن قد نزع إلى دعوى الربوبية، ومنهم من نزع إلى دعوى النبوة بغير حقّها، ومنهم من نزع إلى دعوى الإمامة بغير حلّها، وذلك مع ما يرون في أنفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم، والموت الغالب لهم والقاهر لجميعهم ـ يابن الفضل: إنّ الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده إلّا الأصلح لهم، ولا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون[١].

فالروح من الله سبحانه وترجع إلى ربّها، ويعبّر عنها بالنفس عند ما تحلّ بالبدن[٢]، فبعد الموت ترجع إلى موطنها الأصلي والاتصال بالعالم الفعلي، وهو المراد بقوله ﷺ (حبّ الوطن من الايمان) لا حبّ الأرض فان حبّ الدنيا رأس كل خطيئة.

قال الشيخ الرئيس إبن سينا في معرفة الرّوح:

هبطت اليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذات تعزّز وتمنّع

وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجّع



---

(١) البحار: ٥٨: ١٣٤ عن العلل: ١: ١٥ و١٦.

(٢) ربما الوجه في ذلك: انه عندما تحلّ الروح في البدن يتنفس الإنسان، وإذا خرجت انقطع منه نفسه. فالنفس ـ بسكون الفاء ـ من النَفس ـ بفتح الفاء ما يحصل من التنفس، كالحيوان ـ بسكون الحاء من الحياة الّتي يقابلها الموت: وبفتحها بمعنى الحياة الأبدية، والأوّل في دار الدنيا، والثاني في دار الآخرة. فإنّها (لهي دار الحيوان) أي فيها الحياة الأبدية الّتي لا موت فيها. بخلاف دار الحيوان الدنيويّة، فإنّها مشوبة بالموت، فتدبّر.

وقيمة الانسان وأصالته إنّما هو بروحه التي يدرك بها الأشياء. وبها يبصر ويسمع ويفرح ويحزن ويعلم ويجهل، لا بجسده، فما هو إلّا مركوب للروح، وآلة لإدراكها وحركتها.

١ ـ ففي الخبر في جواب الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون عند ما سأله عمران الصابي: العين نور مركّبة أم الروح تبصر الأشياء من منظرها؟ قال عليه السلام: العين شحمة وهو البياض والسواد والنظر للروح، دليله إنّك تنظر فيه فترى صورتك في وسطه، والانسان لا يرى صورته إلّا في ماء أو مرآة وما أشبه ذلك، قال: عمران: فإذا عميت العين كيف صارت الروح قائمة والنظر ذاهب؟ قال: كالشمس طالعة يغشاها الظلام... إلى أن قال عليه السلام: الروح مسكنها في الدماغ، وشعاعها منبث في الجسد بمنزلة الشمس دارتها ـ أي جرمها المستدير ـ في السماء وشعاعها منبسط على الأرض، فاذا غابت الدارة فلا شمس، وإذا قطع الرأس فلا روح[1].

٢ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: مثل روح الانسان وبدنه كجوهرة في صندوق، إذا خرجت الجوهرة طرح الصندوق ولم يُعبأ به، وقال: إنّ الأرواح لا تمازج البدن ولا تواكله (ولا تداخله) وإنّما هي كللٌ للبدن محيطة به.



(١) البحار ٥٨: ٢٥١ عن المناقب: ٣: ٣٥٣.

٣ـ وفي معاني الأخبار بسنده عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزوجل: ﴿وَنَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي﴾ كيف هذا النفخ؟ فقال: إنّ الروح متحرّك كالريح، وإنّما سمّي روحاً لأنه أُشتق إسمه من الريح، وإنّما أخرجه على لفظة الريح لأن الروح مجانس للريح، وإنّما أضافه إلى نفسه، لأنه اصطفاه على سائر الأرواح، كما إصطفى بيتاً من البيوت. فقال: بيتي، وقال لرسول من الرسل: خليلي وأشباه ذلك، وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبّر[١].

أقول: وكما لله بيتاً أعظم، وهو الذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين، ثم له بيوتاً أُخرى، وهي المساجد التي يذكر فيها إسم الله سبحانه، وإنّها تختلف في الفضل والدرجات والثواب، كذلك له روحاً أعظم وهو روح النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وله أرواح مقدسة معصومة أُخرى من الأئمة الأطهار خلفاء الرسول المختار، ومن الأنبياء والمرسلين والنبيين وأوصيائهم والعلماء الصلحاء ورثتهم، الأمثل فالأمثل، وإضافة الروح إلى الله سبحانه للتشريف والتكريم، كبيت الله، وناقة الله.

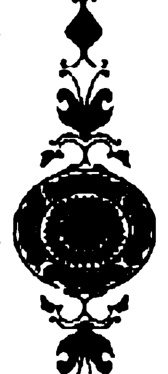
ثم للروح مراتب: تبدء من الروح النباتية الّتي توجب التغدية والنمو

---

(١) البحار ٥٨: ٢٨ عن معاني الأخبار: ١٧.

وتوليد المثل، والرّوح الحيوانية الحسّاسة المتحركة بالإرادة، وهو البخار اللّطيف المنبعث من القلب، الساري في جميع الجسد، فهو شبيه الدخان في لطافته وإعتدا له بالجرم السماوي. وهو من عالم الخلق، ويضاهي الروح الانسانية الربّانية الّتي هي من عالم الأمر، ويطلق على النفس الناطقة المجردة التي هي محل العلوم والمعارف والكمالات الروحية والإلهيّة من الصفات الحميدة، وهي المدبّرة للبدن، وإنّها تفارقه عند الموت، وباقية في البرزخ، وذات حياة أبدية، لتكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر، لو رجعت سالمة ومطمئنة وراضية ومرضية إلى ربّها.

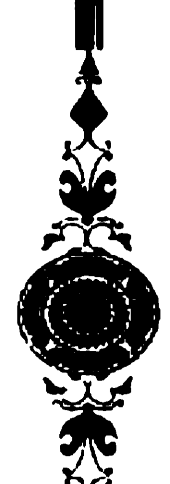
ثم القرآن الكريم يذكر الروح ويتحدث عن وجودها في الانسان وخلودها بعد الموت، كما في آيات بدء خلق آدم ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [1] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ﴾ [2] غير الخلق الأول الذي كان من النطفة والعلقة والمضغة والعظام واللحم ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [3] فالخلق الآخر هو خلق الروح والخلق الأول هو خلق الجسد ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ



(١) الحج: ٢٩.
(٢) المؤمنون: ١٤.
(٣) نفس المصدر.

اللّهِ أمْوَاتٌ بَلْ أحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾[1].

وتنعّم الروح بعد القتل والشهادة بالرزق والفرح والاستبشار ممّا يدل على بقائها وحياتها بعد الموت الجسدي، وليس المراد حياة الذكر كما يكون للعلماء، لانا نشعر بذلك، دون حياة الشهداء ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾[2] تشعر بمرارة الموت فيدلّ على حياتها بعد الموت، فيدل على تجرّد النفس، فان الذوق والتذوّق لا يكون إلّا عن شعور. فلا تموت الروح بموت البدن ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ﴾[3] وتوفية الجزاء مطلقاً يدل على بقاء الروح ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] فان المقبوض عند الموت ليس مجموع الروح والبدن، بل مفارقة الروح للبدن وإستقلالها عنه، فيدل على بقائها وتجرّدها، وما أكثر الآيات الكريمة في هذا الباب. أضف إلى ذلك الكثير من الروايات الشريفة، كما عليه البراهين العقليّة. كما هو ثابت في محلّه. من علمي الفلسفة والكلام، فلا نطيل طلباً للاختصار.



٤ ـ عن الإمام الصادقعليه السلام: «إنّ الله خلق خلقاً وخلق روحاً، ثم

(١) البقرة: ١٥٤.
(٢) الأنبياء: ٣٥.
(٣) آل عمران: ١٨٥.
(٤) الزمر: ٤٢.

أمر ملكاً فنفخ فيه»[1].

٥ ـ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «حتى إذا حمل الميت على نعشه رفرف روحه فوق النعش ويقول: يا أهلي ويا ولدي لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي ».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «إذا قبضت الروح فهي مظلّة فوق الجسد ينظر إلى كل شيء يصنع به».

راجع بحار الأنوار في مجلدات السماء والعالم لاسيّما المجلد ٥٨.

ثم كثير من الفلاسفة قالوا بوجود الروح وتجرّدها وخلودها بعد الموت، ومن هؤلاء سقراط الحكيم، ومن قبله أرسطو طالس، وانكسيمارس وانبذقلس وفيثاغورس، وكان في زمن سليمان النبي ، ومنه أخذ الحكمة، وبعد سقراط أفلاطون، ثم أرسطو المعلم الأول، ثم الفارابي ، ثمّ ابن سينا، وغيرهم من فلاسفة الغرب والشرق من المسلمين وغيرهم.

وتحكي الروح كما تحكي الذات كلمة (أنا)[2] وهي التي ينسب إليها الأفعال المتغيّرة وثباتها مع دوامة التغيّرات الجسدية، وعلم الانسان بنفسه مع الغفلة عن بدنه، والمعلومات الذهنية وما يتعلق

---

(١) البحار: ٥٨: ٣٢.

(٢) لقد ذكرت تفصيل الكلام عن (أنا) في رسالة (فلسفة من أنا) فراجع.

بالدماغ من الفعليات الصورية والجوارحيّة، وتجرّد الصور العلمية ووجود الأحلام والرؤيا الصادقة، والتنويم المغناطيسي وتحضير الأرواح وغيرها من الأدلة العقلية، يدل على تجرّد الروح وبقائها، وتركّب الانسان في حياته الطبيعيّة من جسد وروح، فيحمل حينئذٍ نزعتين: مادية طبيعيّة، وروحيّة مثاليّة.

ثم سبحانه وتعالى هو المجرّد المحض في ذاته وأنّيته، لا يعلم ما هو إلّا هو، فهو الغيب المطلق ومطلق الغيب وهو الأحد الّذي لاتركيب فيه الغنيّ الصمد وغيب الغيب في مقام الأحدية ومقام اللّاهوت، وانه الواحد في مقام الواحديّة، وفي مقام الأسماء والصفات، ومقام الجبروت، ثم في مقام الملكوت خلق خلقاً عظيماً، وعوالم متعددة، تكثرت إلى ما لا يحصى، بعضها أرفع من بعض، فتنزّل الخلق في القوس النزولي، ليمرّ بعوالم أُمّهاتها: العالم الأعلى والعالي والداني والأدنىٰ، ومؤنثه الدنيا، كالأصغر والصغرى، والأعلى والعليا، وهو العالم الذي يقصد منه ماوراء الطبيعة. وهو عالم الأمر وعالم الملكوت والجبروت واللّاهوت، وماسواهما يسمى بعالم الخلق وعالم الطبيعة والمادة، أي عالم الكون والفساد والحركة والسكون (الأكوان الأربعة) كما يسمّى بعالم الناسوت.

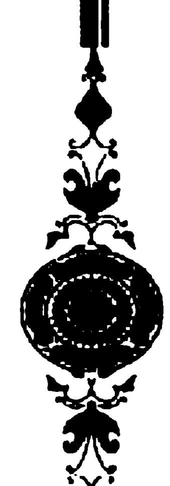
وبنظري : إنّ التجرد الإلهي المحض والبحت، الذي لا يدركه العقول مهما بلغت، وما يُتوهم فهو مخلوق وليس بخالق، لإحاطة الله سبحانه بالخلق، فلا يمكن للمحاط أن يدرك المحيط. فهو في غيب مطلق ومطلق الغيب، إلّا أنّه صدر عنه أوّل الخلق، وهو العقل والمسمى بالروح الأعظم والفيض الأقدس، وهو أشرف خلق الله أعني النبي الأكرم محمد ﷺ ذات الحقيقة المحمديّة، وانه يمتاز عن بارئه وخالقه بالامكان، ففيه شائبة المادة، إلّا انه نقصد من المادة ليس ما هو المصطلح عليه، أي الجسم الطبيعي أو التعليمي الذي يأخذ حيّزاً في الوجود بامتداده وأبعاده الثلاثة: الطول والعرض والعمق، وأضيف عليها بعداً رابعاً : الزمان، بل بمعنى الماهية التي تميّزه عن الوجود الالهي الغني الذي هو واجب الوجود لذاته، مستجمعاً جميع صفات الجلال والجمال والكمال، فالوجود النّبوي الشريف في خلقه النّوري الاوّلي هو الروح الأعظم والفيض الأقدس، الذي تجلّى بجبروته وبنوره الكثرة والخلق، إلّا أنّه قبل الوصول إلى عالم الطبيعة أي في العالم العِلوي كان الخلق من المجرّدات أيضاً، إلّا انه بالاضافة إلى الماديات وعالم الطبيعة، فالمجرّد ينقسم إلى قسمين: الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، والاضافي وهو ما سواه من العالم العِلوي والملكوتي المسمّى بعالم

الأمر، وهو مفاد قوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [١].

وكذلك العالم المادي ينقسم إلى قسمين: حقيقي: وهو ما في عالم الطبيعة المسمى بعالم الخلق والكون والفساد وعالم المُلك والناسوت، وإضافي وهو المجرد الاضافي من غير مادة طبيعية ولا صورة، وهو العالم المشتمل على الحقائق الملكوتية وإليه الاشارة في قوله تعالى: فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [٢].

٧ ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام: إنّ الله خلق ملكه على مثال ملكوته، وأسّس ملكوته على مثال جبروته، ليستدلّ بملكه على ملكوته وبملكوته على جبروته [٣].

وهذا العالم يسمى بعالم العقل أيضاً.



وقد مدّ الله الظل، فكانت الدنيا وعلم المادة والصورة ظلاً لعالم المثال وعالم الصورة وحسب، كما عالم المثال ظلاً لعالم العقول المجردة عن المادة والصورة وهو عالم الملكوت بمعناه الخاص، وعالم العقل المجرد ظلاً لمقام الواحدية وعالم الجبروت والاسماء والصفات، كما أنّ عالم الجبروت إلاّ لعالم اللاهوت لمن بلغ مقام

---

(١) يس: ٨٢.

(٢) يس: ٨٣.

(٣) الانسان الكامل للشيخ الآملي: ١٣٢.

التوحيد الذاتي من الكملين على قول. وسبحان الله عمّا يصفون.

ثم ليدلّ الخلق كلّه على وجوده ووحدانيته وأحديته، وإنّه بعد الخلق الملكوتي خلق العالم المثالي وهو العالم المشتمل على صور الأشياء وأشباحها دون موادّها، والمسمّى بالبرزخ النزولي، فانه الوسيط بين عالم العقل وعالم المادة. كما إنّ العالم المادي يسمى بالعالم الناسوتي وعالم الشهود والشهادة، وما يقابله العالم الملكوتي وعالم الغيب وفوقه عالم الجبروت، وإلى ربك المنتهى في عالم اللّاهوت.

وإلى عالم الصور أشار أميرالمؤمنين علي عليه السلام: «صور عارية عن المواد، عالية عن القوة والاستعداد. تجلّى لها فأشرقت، وطالعها فتلألأت، ألقى في هويتها مثاله، فأظهر عنها أفعاله، وخلق الانسان ذا نفس ناطقة، إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا إعتدل مزاجها وفارقت الأضداد، فقد شارك بها السبع الشداد».

وورد في أخبار أئمتنا الأطهار عليهم السلام: إنّ في العرش صور جميع الموجودات، ثم هناك إرتباط وثيق بين العوالم كلّها، فان العالم العِلوي يؤثر في عالم المثال كتأثير الشاخص في ظلّه. كما ان عالم المثال مؤثر في عالم المادة، كل ذلك بإذن الله وقدرته وعلمه

وحياته، وما عالم المادة إلّا إنعكاس وظلّ لعالم الأمر والغيب، وإلى هذا يشار في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1].

ولكل خلق تنزلات عبر العوالم الوجودية، كما للقرآن وللنبي والأئمة الأطهار عليهم السلام وللكعبة المكرمة وغيرها، كما ورد في الأخبار الشريفة، وكذلك خلق تنزلات عبر العوالم الوجودية، كما للقرآن وللنبي والأئمة الأطهار وللكعبة المكرمة وغيرها، كما ورد في الأخبار الشريفة.

وكذلك للروح مراتب ومنازل عديدة من ناحية الشرف والضعة، والقوة والضعف، والتقدم والتأخر، فتبدء بروح البدن والحياة والمسمىٰ بروح المدرج، وتنتهي إلى الروح العظمى النفس الانسانية، جامع الجمع، الصادر من الواحد الأحد سبحانه وتعالى، وهي الحقيقة المحمدية التي ملأت السماوات والأرضين، وآمنت بها الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، والأوصياء وعباد الله الصالحين، وكلّما إقترب الانسان إلى هذه الروح بالتقوى إزداد تجرداً، وإتّصلت بعالم الغيب الأعلى، وتسلط على العالم المادي، وصار جسداً يتروّح، وروحاً يتجسد، ويصير محلاً لحقائق العوالم الملكوتية والمثالية،



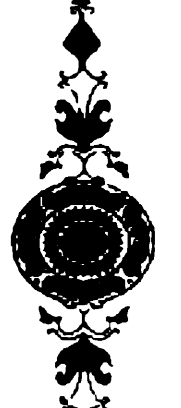
(١) الحجر: ٢١.

ويكمن فيه العالم الأكبر.

أتـــزعم إنّك جـرم صـغير وفيك انطوى العالم الأكبر

عن مولانا أميرالمؤمنين علي عليه السلام: خلق الانسان ذا نفس ناطقة إذا ذكّاها بالعلم والعمل ـ أي بالعلم النافع والعمل الصالح ـ فقد شابهت جوهر أوائل عللها ـ أي الروح الأعظم، فهو العلة الأُولى بعد علـة العلل وهو الله سبحانه ـ وإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فـقد شارك بها السبع الشداد[1].

وعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام: الصورة الانسانية هي أكبر حجج الله على خلقه، وهي الكتاب الذي كتبه بيده، وهي الهيكل الذي بناه بحكمته، وهي مجموع صور العالمين، وهي المختصر من اللـوح المحفوظ، وهي الشاهدة على كل غائب، وهي الحجة عـلى كـل جاحد، وهي الصراط المستقيم إلى كل خير، وهي الجسر الممدود بين الجنة والنار[2].



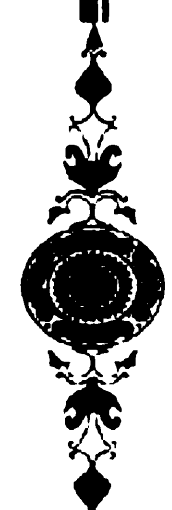
وبهذه الروح المجردة تكون للانسـان الكـامل الولايـة التكـوينيّة الحاكمة على الكائنات، الّا إنّه بإذن الله سبحانه وتعالى ولا غلّو في ذلك، وهذا من صميم التوحيد وإصالته.

---

(١) الانسان الكامل للشيخ الآملي: ١٣٢.
(٢) الحياة بعد الموت: ٧٨ عن تكملة منهاج البراعة: ١٩: ٢٨٩.

يقول صدرالدين الشيرازي: لا عجب أن يكون لبعض النفوس قوة الهيّة، فيطيعها العنصر في العالم المادي، كإطاعة بدنه إياها، فكلّما إزدادت النفس تجرّداً، وتشبهاً بالمبادئ القصوى، إزدادت قوة وتأثيراً فيما دونها.

وفي (جنة المأوى: ١٤٨) يقول المحقق العلامة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء‏ﷺ: إن العوالم الأربعة: اللاهوت والجبروت والملكوت والمُلك (الناسوت)، والثلاثة الأُولى كلّها مجردة عن المادة والمدّة. أمّا عالم الملك وهو العالم المادي وما تحت العرش فهو قسمان: قسم يحتاج إلى مادة فقط، وهو عالم الأفلاك والكرات النيرة المعلّقة في الفضاء، التي ينشأ الزمان من حركاتها، فتكون المدّة، وقسم يحتاج إلى مادة ومدّة معاً، وهو عالم الصُّنع وما تحت فلك القمر، وكل عالم له الهيمنة على ما دونه والتصرف فيه.



فعالم الملكوت المجردة عن المادة والمدّة، له التصرف في عالم الملك للابداع والإيجاد من دون إعداد ولا إستعداد، ولا مادة ولا إمتداد، وبهذا المفتاح تنحلّ جميع المشكلات في باب المعجزات والعروج الجسماني وأضرابها، فإن العبد إذا تحقق بحقيقة الحق، وتخلّق بأخلاق الرّوحانيين غلبت عليه صفات الأرواح المجرّدة،

وصار له السلطة على العوالم المادية، يتصرف فيها كيف يشاء بمشية الله، فكما أنه جل شأنه يوجد المادة من غير مدّة ولا مواد ولا قوة ولا إعداد ولا إستعداد، فكذلك وليّه أو نبيّة.

وبالجملة: فالوجودات المجردة أو العقول الفعّالة (والمدبّرات أمراً) كما في لسان الشرع تمرّ على الزمان ولا يمرّ الزمان عليها، وتحكم على المادة ولا تحكم المادة عليها، والمادّة التي تعلّقت بها كأجسامها العنصرية الشريفة مقهورة لروحها المجرّدة، ويجري عليها حكمه التجرّد، فلا يعوقها عن الاتصال بالملأ الأعلى فضلاً عن الأدنى عائق.

ثم في (الفردوس الأعلى: ٢٤٨) يقول: حيث عرفت جيداً إنّ في الانسان بدناً برزخيّاً بين الروح المجرد والجسد المادي، فاعلم إنّ هذا البدن قد تغلب عليه الناحية الروحية والنزعات العقلية، فيغلب على الجسد المادي ويسخره لحكمه ويكون تابعاً له ومنقاداً لأمره، وقد ينعكس الأمر فتنقلب النواحي المادية والشهوات الحسيّة على الملكات الروحيّة. فتصير الروح مسخرة للمادة، تابعة لها، منقادة لرغباتها وشهواتها. وهنا تصير الروح مادة تهبط إلى الدرك الأسفل وظلمات الجهالات ﴿وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ﴾ [1] وربّما تصير المادة

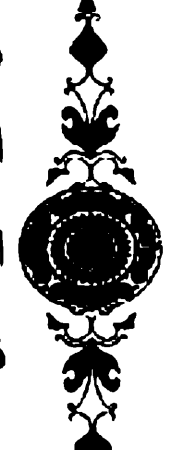


(١) الأعراف: ١٧٦.

روحاً، حتى تخف وتلطف وتنطبع بطابع المجردات، فتسمو إلى الملأ الأعلى في هذه الحياة الدنيا فضلاً عن الحياة الأُخرى، وكما يقال: إنّ الأنبياء والحكماء والعرفاء ومن هو على شاكلتهم من رجال الله تعالى جعلوا أبدانهم أرواحاً. أمّا نحن فقد جعلنا أرواحنا أبداناً، وإذا صار البدن روحاً وغلب حكم الملكوت على الملك، لم يعسر على ذلك أن يخترق حدود الزمان وسدود المكان، فيحكم على الزمان والمكان، ولا يحكم شيء منهما عليه، وبهذا يسهل عليك تصور المعراج الجسماني، وسيره في الملكوت الأعلى ورجوعه قبل أن يبرد فراشه، وإحضار آصف عرش بلقيس قبل أن يرتدّ طرفه، ومبارحة أمير المؤمنين عليه السلام المدينة إلى المدائن بتجهيز سلمان رضي الله عنه ورجوعه من ليلته، بل وما هو أشد غرابة من ذلك، وهو حضوره عند كل محتضر في شرق الأرض وغربها من مؤمن أو منافق (يا حار همدان من يمت يرني) يسهل عليك تصوّر هذه القضايا الخارقة لنواميس الطبيعة، يسهل اليك تصورها بل والتصديق بها، نعم وإنّما يستعصى علينا الإذعان بها، ويجعل عندنا هذا القبيل من المستحيل، إنغمارنا في المادة وإنطمار أرواحنا في مفازات الطبيعة، فلا نبصر ولا نتعقل الّا من وراء حجبها الكثيفة، ومن للأعمى والأكمه أن يرى نور الشمس، أو يستلذّ بلحن نغمات

الأوتار، وليس عندنا لردّ هذه الأنوار سوى الإنكار وسدّ باب الاعتبار...

فمن الممكن بل قد وقع ذلك، بأن القوى العقليّة والروحية لها التأثير الكامل على المادة الصلبة، حتى تجعلها أثيراً وطاقةً بتأثير مباشر من دون وسيلة مادية وعنصريّة، فيمتلك البعض كالأنبياء والأولياء وعباد الله المقربين قدرة التصرف بالأشياء المادية والطبيعية على نحو يكون خارقاً للعادة ومعجزةً وكرامةً لهم، كما يمتلك بعض المرتاضين الهنود قوة تساعدهم على فعل العجائب كوقوف القطار المتحرك سريعاً، ورفع الأجسام الثقيلة بمجرد الارادة، ودفنهم في الأرض أياماً ليقوموا بعدها أحياءً، وهذه القدرة البشرية الخارقة إن دلّت على شيء، فإنّما تدل على إنّ الانسان لعظمته يمتلك في باطنه ووجوده قوى روحية ميتافيزيقية تسيطر على العالم المادي، ومثل هذا يدلّ على قوّة الاعتقاد لا على صحّتها، فقوة العقيدة المعينة عند البعض وعمقها في الوجود وتغلغلها في الضمير اللاشعوري، هي التي تؤدي إلى ظهور الخوارق، إمّا صحة العقيدة فلا شأن لها في مثل هذا الأمر، وهذا يختلف عمّا عند الأنبياء والأولياء من المعاجز والكرامات، فتدبّر.



ولو تجرّد الروح لاطّلع الانسان على المغيّبات، فان الغيب لغـةً[١]: يعني كل ما غاب عن حـواس الانسـان المـادية، فـالمادة تـمنع الانسـان أن يطلع على مـا وراء الجـدار، وإذا تـجرّدت الروح فـلا يحجبها الجدار، فكل ما غاب عن الحواس زمانياً كان كـالماضي والحاضر والمستقبل، أو مكانياً كالجنة والنار، أو كان من الماديات أو المجردات، فإنّ الانسان المنزه والمجرّد يرى كل ذلك، فالذين يؤمنون بالغيب بما يلزمهم الايمان به كالحساب يوم القيامة والجنة والنار والبعث وسائر ما لا يعرف بالمشاهدة الحسيّة، فان ما يُعرف تارة بالحس وأُخرى بالرّوح، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْـصَارَ ـ مـن الحواس في معرفة الحسيات والماديات ـ وَالأَفْئِدَةَ ـ أي من طريق الفؤاد أي القلب والروح لمعرفة المغيّبات وما ورا ـ الحجاب ـ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٢].

فمادام الانسان أسير نفسه وشهوته وفي قفص الجسد لا يؤمن إلّا بما يعلمه من خلال حواسه، وأما لو ارتقى بالتقوى والعبادة بروحه عن جسده، لأدراك الغيب، ولرأي مـلكوت السـموات والأرض،

---

(١) لقد تحدثت بالتفصيل عن الغيب والشهادة في (بريق السـعادة فـي مـعرفة الغـيب والشهادة) فراجع.

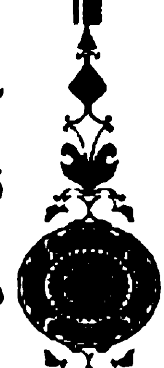
(٢) النحل: ٧٨.

وما لا تناله الحواس المادّية.

عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [١] قال: كشط لابراهيم عليه السلام السموات السبع حتى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، واني لأرى صاحبكم والأئمة عليهم السلام من بعده قد فُعل بهم مثل ذلك [٢].

وعن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله انه قال: ما من عبد إلّا وفي وجهه عينان يبصر بهما أمر الدنيا، وعينان في قلبه ـ أي في روحه ـ يبصر بهما أمر الآخرة، فاذا أراد بعبدٍ خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بها ما وعده بالغيب، فآمن بالغيب على الغيب.

وقد أطلع الله الأنبياء وأوصيائهم على الغيب إلّا على ذاته، فانه جلّ جلاله لايُدرك ذاته كما قال عزوجل: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾ [٣] وما سواه ففي دائرة الامكان من الاطلاع عليه كالأخبار بالمغيبات وما قاله عن عيسى بن مريم ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [٤].



---

(١) الأنعام: ٧٥.

(٢) بصائر الدرجات: ١٠٧.

(٣) طه: ١١٠.

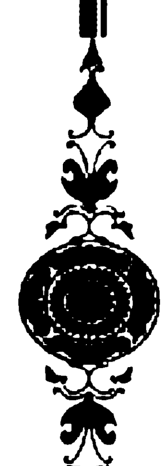
(٤) آل عمران: ٤٩.

وأما قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [١] فانه يدل على الغيب الخاص بالله سبحانه، وهو العلم بوقت القيامة ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ﴾ [٢] وأما غيره فقد اطلع بعض عباده عليه.

عن مولانا الصادق عليه السلام: انّ لله علماً لا يعلمه إلّا هو، وعلماً أعلمه ملائكته ورسله، فما أعلمه ملائكته وأنبياءه ورسله فنحن نعلمه [٣].

كما انّ المراد من علم الغيب المختص بالله هو العلم الذاتي الاستقلالي، وأما غيره أي الامكاني التبعي، فيعلمه من علمه بتعليم من الله تعالى كما في قوله: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾ [٤].

وآلة الاطلاع على الغيب في الأنبياء عليهم السلام امّا بالرؤيا فيكون نبيّاً، أو بالوحي وسماع الصوت من دون أن يرى الملك فيكون رسولاً، أو يسمع ويرى فيكون مرسلاً، كأنبياء أولى العزم، وأما الأوصياء فايحاءً وإلهاماً بنكت في القلوب أو قرعاً في الأسماع [٥].



قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: يا علي إنّ الله أطلعني على ما شاء من

---

(١) النمل: ٦٥.
(٢) الأعراف: ١٨٧.
(٣)
(٤) الجن: ٢٦ ـ ٢٧.
(٥) لقد ذكرت تفصيل ذلك في (علم الإمامة في ليلة القدر).

غيبه وحياً وتنزيلاً، وأطلعك عليها إلهاماً.

وأما الأولياء والمؤمنون والمؤمنات فبكشف صادق، أو إلهام ملائكي (اللهم أرزقني فهم النبيين وحفظ المرسلين وإلهام الملائكة المقرّبين) والمؤمن مُحدَّث تحدثه الملائكة وتلهمه إلهاماً، كما إنّ الله يناجي المؤمنين في فترة منَ الرّسل في سرّهم وأرواحهم[١]، فترفع الحجب الظلمانيّة والنورية عنهم بعد القداسة والطهارة، ويقف على الحقائق وملكوت الأشياء وبواطنها، ويكون الغيب عنده كالشهود وعالم الشهادة ﴿**لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾[٢] والدنيا مزرعة الآخرة ومتجر أولياء الله.

وإذا كانت الحقائق تنكشف عند الموت الطبيعي، فكيف لا تنكشف عند الموت الاختياري، بإماتة الشهوات والرغبات والملاذ غير المشروعة.

فموتوا قبل أن تموتوا، وما أروع ما يقوله أميرالمؤمنين علي عليه السلام: **«إنّ أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها إذا إشتغل الناس بعاجلها. فأماتوا**

---

(١) هذا ما ذكره أميرالمؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة فراجع.
(٢)

منها ما خشوا أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنّه سيتركهم»[١].

وفي الحديث القدسي: يابن آدم لا يخلص عملك حتى تذوق أربع موتاتٍ: الموت الأحمر والموت الأصفر والموت الأسود والموت الأبيض.

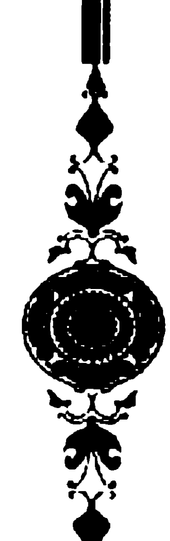
الموت الأحمر: إحتمال الجفاء وكفّ الأذى

والموت الأصفر: الجوع والإعسار.

والموت الأسود: مخالفة النفس والهوى فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله.

والموت الأبيض: العُزلة.

وبالموت يكون الكشف والمكاشفة، وهو إمّا أن يكون صورياً، فينكشف الغطاء عن عالم المثال والصور ولا يختص بالمؤمنين بل مشترك بينهم وبين الكافرين والمنافقين، أو يكون كشفاً حقيقياً ومعنوياً بانكشاف الغطاء عن الحقائق الغيبيّة، فيرى حقائق الأشياء كما هي، كما ورد في دعاء الإمام السجادعليه السلام: «اللهم أرنا حقائق الأشياء كما هي» وكلما انكشف الظلام وظهر النور وإزداد فانه يزداد معرفة وقرباً وحقيقة.



وفي الحديث القدسي: (يتقرب العبد اليّ بالنوافل حتى أُحبّه فاذا



(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٢.

أحببته أكون سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها)، أي يكون مظهراً لأسماء الله سبحانه، فيكون عين الله وسمعه ويده.

ولولا هيام الشياطين على قلوب الناس، لرأوا ما يراه النبي الأعظم ﷺ ولسمعوا ما يسمعه، وما أكثر النصوص والشواهد على ذلك.

عن أبي بصير أنه قال للإمام محمد الباقر عليه السلام: ما أكثر الحجيج وأعظم الضجيج؟ فقال عليه السلام: بل ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج؟ أتحب أن تعلم صدق ما أقوله وتراه عياناً؟ فمسح بيده على عينيه، فدعا بدعوات، فعاد بصيراً فقال عليه السلام: أنظر يا أبا بصير إلى الحجيج، قال: فنظرت فاذا أكثر الناس قردة وخنازير، والمؤمن بينهم كالكوكب اللامع في الظلماء، فقال أبو بصير: صدقت يا مولاى، ما أقل الحجيج وأكثر الضجيج، ثُمّ دعا بدعوات، فعاد ضريراً.

فمن كان مطيعاً لله سبحانه يرى ما لا يراه عامّة الناس، ويسمع ما لا يسمعه عامة الناس، كسماع صوت الملائكة والجن وعذاب الميت في قبره، ويفهم كلام الحيوانات وغيرها من الأصوات الخفية والغيبيّة.

يكشف عن شمّه، فيشم ما لا يشمه غيره، فلا تفضحنّكم روائح

الذنوب عند أولياء الله.

قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: تعطّروا بالاستغفار لا تفضحنّكم روائح الذنوب»[1].

وان الرسول الأعظم يشمّ رائحة الجنة من اليمن (واشوقاً اليك يا أُويس القرني) فانه يشم منه رائحة الجنة.

كما يكشف عن الذوق فان حاسة الذّوق، فإنّ الغيبة واستغابة المؤمن ليست من الماديات واللّحم المادي، فيكون طعامها وشرابها حينئذٍ من غير الماديات، فطعام السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في عالم الأرواح هو التسبيح والتقديس والتهليل والتحميد وطعام المستغيب لحم أخيه ميّتاً.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «إنّي اظلّ عند ربي فيطعمني ويسقيني».

ومن القوى الخارقة الإلهام والمسمى بالعلم الوهبي والالهامي، يلقى من لدن حكيم في قلب العارف بالله، المعارف والعلوم من دون أعمال الفكر وإقامة التجارب، ويقع في اليقظة والمنام فتدبّر فهذا هو من الغُنم الأعلى في الحياة الدنيا...!!

فالروح الانسانية بمنزلة المرآة تنعكس فيها الحقائق من عالم



(١) عين الحياة: ٢: ٤٢٧.

الغيب فتقف على معان وصور، لا يمكن الوقوف عليها بالحس والعقل.

وأعلى درجات الإلهام عند الأئمة الأُثنى عشر وفاطمة الزهراء والرسول الأعظم عليهم السلام ثم الأمثل فالأمثل من الأنبياء والأوصياء ثم المؤمنون من شيعة الأئمة الأطهار عليهم السلام [١].

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ما من عبد أحبّنا وإزاد في حُبّنا وأخلص في مودّتنا وسألنا مسألة، إلّا أجبناه ونفثنا في روعه جواباً لتلك المسالة.

وللحصول على الإلهام أسباب وشرائط متعدّدة أهمها والذي يعدّ بمنزلة الاصول والأُسس كما يلي:

١ ـ التقوى: فانه رأس الأخلاق، وسرّ قبول العمل، وأساس السعادة في الدارين، بها ينال العلوم والمعارف الالهية، وتنكشف له الحقائق الكونيّة، ويعرف فلسفة الحياة وسرّ الخليقة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [٢] ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٣] ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في (العلم الإلهامي بنظرة جديدة) فراجع.

(٢) الطلاق: ٢ ـ ٣.

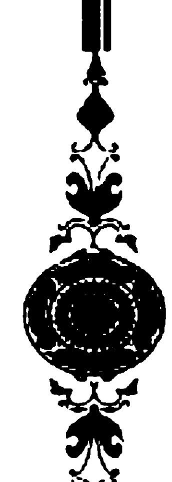
(٣) الأنفال: ٢٩.

وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّـهُ﴾[1] فالعلم والفرقان ومطلق الرزق، إنّما يتفرّع على التقوى.

٢ ـ الزّهد: بأن لا تحزن على ما فات، ولا تفرح بما هو آت ﴿لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾[2] فيتجافى عن دار الغرور ليرجع إلى دار الخلود، فيستعد للموت قبل نزوله.

قال رسول الله ﷺ: ليس العلم بكثرة التعلّم، وإنّما العلم نور يقذفه الله في قلب من يحبّ فينفتح له، ويشاهد الغيب، وينشرح صدره ويحتمل البلاء، قيل يا رسول‌الله، وهل لذلك من علامة؟ قال ﷺ: التجافي عن دار الغرور، والإبيانة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.

كما اشترط الله على الأنبياء ان يزهدوا في الدنيا، فان حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة، فزهدوا فيها، كما إنّ العلماء ورثة الأنبياء، فمن شرط علمهم الالهامي أن يزهدوا في حطام الدنيا وزخرفها، ولا تغرّهم مظاهرها الخلّابة والفتنانة.. فما هي إلّا عجوز شمطاء تزيّنت وتجمّلت لتصيد قلوب الرجال الذين يحبّوا أن يطّهروا، وما جوابها، إلّا أن يقال لها كما قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام غرّي غيري ...



(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) الحديد: ٢٣.

٣ـ الاخلاص: بأن يكون في نواياه وفي كل أعماله وأقواله خالصاً لله، فان الناس كلّهم هلكى الاّ العلماء، والعلماء كلهم هلكى إلاّ العاملون، والعاملون كلّهم هلكى إلاّ المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم، فانّ الرّياء في العمل والنية كدبيبة نملة سوداء، في ليلة ظلماء على صخرة ملساء فمن يحسّ بدبيبها؟! إلاّ انه من أخلص فقد نال (أخلص تنل) و(بالاخلاص يكون الاخلاص)[1].

عن رسول الله ﷺ: من أخلص لله سبحانه أربعين صباحاً، تفجّرت من قلبه على لسانه ينابيع الحكمة.

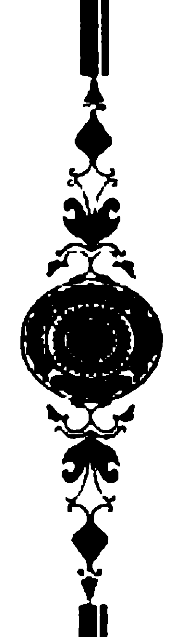
فإنّ الحكمة الالهية التي تعني معرفة الحقائق وكشف الواقع وماوراء العلم من الفهم، هي في قلب المؤمن، عيون صافية من بحار فيّاضة، إنّما تتفجّر تلك الينابيع والعيون بالاخلاص.

ولازم الاخلاص الصفاء الروحي والشفافيّة الذاتية، حتى تكون الروح مرآةً لطبع الحقائق الكونيّة ومعرفة أسرار الخلقة، وليس بعزيز على الله سبحانه أن يعطي ويهب عبده المخلص شيئاً من ولايته التكوينية، فيتصرف حينئذٍ في الكون إجمالاً بإذن ربّه كرامة له، وليكون قدوة صالحة وأسوة حسنة للناس، ولمن يلوذ به...

---

(١) ذكرت تفصيل ذلك في (معرفة الاخلاص والرياء في مدرسة فاطمة الزهراء عليها السلام) و(الاخلاص في الحج) مطبوع في الموسوعة (رسالات إسلاميّة) فراجع.

فلاتنكر كرامات أولياء الله مادام الولي كان حقّاً وصادقاً وخالصاً لله سبحانه، لاكلّ من يدّعي الوصل جزافاً وتمويهاً على السّذج من الناس، فتأمّل وتفكّر، وتدبّر ولاتغتر، فليس كلّ مدوّر جوزة!!... فإن لكلّ شيء علامة، ولأولياء الله علامات، كما في القرآن الكريم والسنة الشريفة والاحاديث المعتبرة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام[1].



(١) ذكرت تفصيلاً جملة من العلامات في (بيان العلامات على ضوء الرّوايات) فراجع.

عود على بدء

إنّ عامة الناس بل الحيوانات كـذلك، إنّـما يشـتركون فـي أرواح ثلاث:

١ ـ روح البدن: والمسمى بروح الحـياة وروح المـدرّج ويـذهّب الناس بها ويجيئون، فبروح البدن دبّوا ودرجوا كما ورد في الاخبار عن أئمتنا عليهم السلام.

٢ ـ روح الشهوة: أصابوا بها اللذايذ من الطعام ونكحوا الحلال من النساء.

٣ ـ روح القوّة: بها يتقوّىٰ الانسان على حركاته وسكناته فيجاهد عدوّه، ويعالج معاشه.

وهذه الأرواح الثلاثة تسمى بالروح الحيوانيّة، وإنّها مـن الجسـم اللطيف الساري البخاري في الجسم الحيوانـي، ومـنشأه الدمـاغ

والقلب الصنوبري والكبد.

٤ ـ روح الإيمان: ويمتاز المؤمن عن غيره بروح الايمان، ومنشأه القلب السليم، وبه يعبد الله ولم يشرك به شيئاً، لا في توحيده ولا في نصب نبيّه، ولا في تعيين وليّه ووصي نبيّه، فان الشرك يكون في التوحيد، كما يكون في النبوة، بأن يشرك مع النبي في مقام النبوة من ليس بنبي حقاً، كما يكون الشرك في الإمامة الحقّة المنصوصة من الله ورسوله، بأن يشرك في الإمامة من لم يكن له حق الإمامة، فهذا من الشرك في الله أيضاً في فعله وعدله، فتدبّر.

فروح الايمان يختص بالمؤمنين من شيعة الأئمة الأطهار أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام .

٥ ـ روح القدس: وامتاز الأنبياء والأوصياء بروح القدس، ومنشأه الوحي في الأنبياء كما في قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [1] والايحاء بذلك في القلوب وقرع في الأسماع، كما إنه تارة منشأه العلم الالهامي من الله كما قال الإمام الرضا عليه السلام لدعبل الخزاعي: (إنّه نطق روح القدس على لسانك) ويحصل ذلك كثيراً في الأنبياء، فيكون الولي مفهّماً ومحدَّثاً ـ بالفتح ـ وملهماً بإلهام الملائكة المقرّبين.

٦ ـ روح الأمر: وهذا يختص بالأربعة عشر المعصومين عليهم السلام



(١) البقرة: ٨٧.

ومنشأه ذات الله سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا﴾ [1].

وبهذه الروح نقول بالعصمة بالمعنى الأخص في الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام فتدبّر. فانّ المراد من هذه الروح هو كلّ الروح وتمامه وكمالها، وما كان عند عيسى بن مريم انّما هو جزء من هذه الروح العظمىٰ.

١ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّ الله عزوجل أيدنا بروح منه مقدسة مطّهرة، ليست بملَك، لم تكن مع أحد ممّن مضى، إلّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهي مع الأئمة منّا، تسدّدهم وتوفقهم، وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزوجل [2].

٢ ـ وفي الخبر الصحيح عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ [3] فقال أبو جعفر عليه السلام: منذ أنزل الله ذلك الروح على نبيه صلى الله عليه وآله ما صعد إلى السماء، وإنّه لفينا) [4].

---

(١) الشورى: ٥٢.

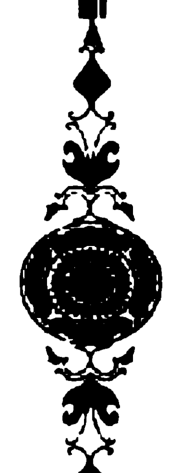
(٢) البحار: ٢٥: ٤٨.

(٣) الشورى: ٥٢.

(٤) البصائر: ٤٥٧.

٣ـ وعن أبي حمزة الثمالي في حديث معتبر قال: سألت أ باعبدالله عليه السلام عن العلم أهو علم يتعلّمه العالم من أفواه الرجال، أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟ قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أما سمعت قول الله عزوجل: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَلاَ الإِيمانُ﴾ [1] ثم قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية أيقرّون انه كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان؟ قلت: لا أدري ـ جعلت فداك ـ ما يقولون، فقال لي: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان حتى بعث الله تعالى الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها إليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله تعالى من شاء، فاذا أعطاها عبداً علمه الفهم [2].

فعلم الأئمة الأطهار أعظم وأوجب وألزم وأتمّ وأحق بالإتباع، ومن أن يكون مأخوذاً من أفواه الرجال أو مستخرجاً من الكتاب، بل هو من الروح الأعظم الذي معهم، وبهذه الحجة العظمى والعلم الكامل كانوا الحجج على الخلائق، وإمتازوا عن سائر الناس، وعصمهم الله من الخطأ والشك والزلل والمعصية والاشتباه، وحتى ترك الأُولى



---

(١) الشورى: ٥٢.
(٢) الكافي: ١: ٢٧٣.

الذي أُبتلي به الأنبياء دون الرسول الأعظم محمد ﷺ وهذا هو القول المختار في عصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام وهو العصمة بالمعنى الأخص كما مرّ.

٤ ـ وعن أبي بصير في الخبر الصحيح قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ ؟ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول‌الله ﷺ وهو مع الأئمة وهو من الملكوت[1].

٥ ـ وفي صحيح جابر الجعفي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا جابر إنّ الله خلق الناس ثلاثة أصناف وهو قول الله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ

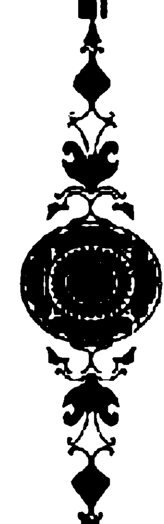
* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُوْلَـئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾[2] فالسابقون هم رسول‌الله ﷺ وخاصّة الله من خلقه، جعل فيهم خمسة أرواح: أيدهم بروح القدس فبه بعثوا أنبياء، وأيدهم بروح الايمان فبه خافوا، وأيّدهم بروح القوة، فيه قووا على طاعة الله، وأيّدهم بروح الشهوة فبه إشتهوا طاعة الله وكرهوا معصيته، وجعل فيهم روح

---

(١) الكافي: ١: ٢٧٣.
(٢) الواقعة: ٧ ـ ١١.

المدرج الذين يذهب به الناس ويجيئون، وجعل في المؤمنين أصحاب الميمنة روح الايمان، فبه خافوا الله، وجعل فيهم روح القوة، فبه قووا على الطاعة من الله، وجعل فيهم روح الشهوة فبه إشتهوا طاعة الله، وجعل فيهم روح المدرج الذي يذهب الناس به ويجيئون[1].

روح المدرج والشهوة والقوة في جميع الناس، فإنها الروح الحيوانية إلّا إنّ متعلقات الشهوة تختلف فمنهم من يشتهي الحرام، إلّا إنّ المؤمن يشتهي طاعة الله، وبروح القوة يتقوى على الطاعة من الله سبحانه، ولكن روح الايمان الذي به ما يكون من أصحاب اليمين إنّما هي في المؤمنين الموالين لأمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمّة الأطهار من ولده عليهم السلام كما هو ثابت في محلّه، بالأدلّة العقلية والنقلية، وبالبراهين الساطعة.



٦ ـ وفي حديث جابر أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن علم العالم؟ فقال لي: يا جابر إنّ في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس وروح الايمان وروح الحياة وروح القوة وروح الشهوة فبروح القدس ـ يا جابر ـ عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إنّ هذه الأربعة أرواح يصيبها الحدثان، إلّا

(١) البحار: ٢٥: ٥٣، البصائر: ٤٤٥.

روح القدس فإنّها لا تلهو ولا تلعب[١].

وهذا معنى العصمة التي في الأنبياء والأوصياء بالمعنى الخاص، وأما في الأربعة عشر المعصومين عليهم السلام فانّها بالمعنى الأخص كما مر، لانه فيهم روح القدس الأعظم الذي لم ينزل الّا على خاتم النبيين المكرّم، ولم يصعد إلى السماء بل هو فيهم، وفي عصرنا هذا هو مع قطب عالم الامكان صاحب العصر والزمان الحجة الثاني عشر إمامنا المنتظر الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام، وقد غاب عن الأبصار كالشمس تحجبه السحاب، عجّل الله فرجه الشريف، وإنّه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

٧ـ في حديث المفضل بن عمر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخىً عليه ستره؟ فقال: يا مفضل ان الله تبارك وتعالى جعل في النبي خمسة أرواح: روح الحياة فيه دبّ ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب، وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان، فبه آمن وعدل. وروح القدس فبه حمل النبوة. فاذا قبض النبي صلى الله عليه وآله إنتقل روح القدس فصار إلى الامام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو،

---

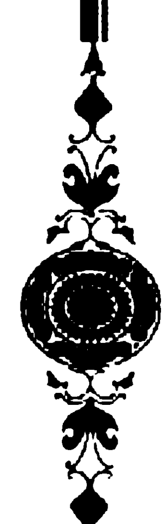
(١) الكافي: ١: ٢٧٢.

وروح القدس كان يُرى به[١].

٨ـ وعن علي بن أسباط في الخبر الصحيح قال: سأله رجل من أهل هيت ـ وأنا حاضر ـ عن قول الله عزوجل: ﴿وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا﴾؟ فقال: منذ أنزل الله عزوجل ذلك الروح على محمد ﷺ ما صعد إلى السماء وإنّه لفينا[٢].

٩ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام قال: في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح البدن وروح القدس وروح القوة وروح الشهوة وروح الايمان. وفي الكفّار ثلاثة أرواح: روح البدن وروح القوة وروح الشهوة. ثم قال: روح الايمان يلازم الجسد ما لم يعمل بكبيرة، فاذا عمل بكبيرة فارقه الروح، وروح القدس من سكن فيه، فانه لا يعمل بكبيرة أبداً[٣].

فهذا الخبر الشريف ممّا يدل على العصمة أيضاً بالمعنى الخاص الذي في الأنبياء وأوصيائهم، ولا يخفى إنّ من كان يحمل العصمة بالمعنى الأخص، فانه يحملها بالمعنى الخاص بالفحوى الأولوية، ولا عكس، فتدبّر فانه بهذا وبأمثاله من المقامات والمنازل المُلكيّة والملكوتيّة نفضّل الأربعة عشر المعصومين محمد وآل محمد عليهم السلام



(١) الكافي: ١: ٢٧٢.
(٢) الكافي: ١: ٢٧٣ عن اسباط بن سالم والبصائر عن علي بن أسباط.
(٣) البحار: ٢٥: ٥٤ عن البصائر: ٤٤٧.

على غيرهم مطلقاً، فإنهم دون الخالق وفوق المخلوق في كلّ شيء(ولا فرق بينك وبينهم إلّا إنّهم عبادك فتقها ورتقها بيدك)[1].

١٠ ـ في حديث سماعة بن مهران قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: إنّ الروح خَلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يسدّده ويرشده، وهو مع الأوصياء من بعده[2].

فروح القدس سبب علم الأنبياء والأوصياء، وإن الأعظم منه في خاتمهم وسيدهم، وفي أوصيائه وخلفائه الأئمة الأطهار عليهم السلام، وروح القدس إنّما هو خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل، وإنّها قوّة قدسيّة أو حقيقة غيبيّة تمنح النبي والوصي العلم والفهم، وتعصمه من الضلال والشقاء في العلم والعمل، وما كان في خاتم الأنبياء وأوصياءه هو الصنف الأعظم، أو الفرد الأعلى، أو المرتبة العليا والعظمى، فلم تكن مع من مضى ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾[3].

ولما كانت العصمة على مراتب أربع كما مرّ تفصيلها، وكان أساسها العلم، فانه يكون العلم ذا مراتب أربع أيضاً وهي:

١ ـ العلم بالمعنى الأعم: وهو عند عامة الناس وإنه العلم الكسبي

---

(١) مفاتيح الجنان، الزيارة الرجبية.

(٢) البحار: ٢٥: ٦٠.

(٣) البقرة: ٢٥٣.

أعم من علم المعاش أو علم المعاد، أي العلوم الأكاديميّة أو العلوم الحوزويّة.

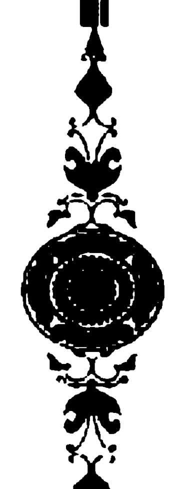
٢ ـ العلم بالمعنى العام: وهو عند الخواص من الناس كالأولياء والمؤمنين وعباد الله الصالحين، وانه المسمّى بالعلم الوهبي وهو من العلم الإلهامي، من لدن حكيم، إيحاءً وإلهاماً.

٣ ـ العلم بالمعنى الخاص: وهو عند الأنبياء وأوصيائهم ومنشأه الوحي بأقسامه الثلاثة: الرؤيا الصادقة فيكون بها نبيّاً، وسماع صوت الملك دون رؤيته فيكون به رسولاً، وسماع الصوت ورؤية الملك، وبه يكون مرسلاً.

٤ ـ العلم بالمعنى الأخص: وهو في الأربعة عشر المعصومين محمد وآل محمد عليهم السلام (فاطمة الزهراء وأبوها وبعلها وبنوها الأحد عشر عليهم السلام).

وإذا أردنا أن نعرف مدى علمهم فيكفيك أنّ علم الأولين والآخرين قبال علمهم كقطرة أمام البحار، كما ورد في كثير من الأخبار والآثار كما في (بحار الأنوار) للعلامة المجلسي قدس سره، فراجع.

هذا في السبب الأوّل من أسباب العصمة وهو العلم اللّدني، وأمّا السبب والعامل الثاني للعصمة فهو الزّهد في الدّنيا.



الزُّهد

من أهم أسباب العصمة الزهد في الدنيا، وهو بمعنى عدم الرغبة فيها، فان حبّها يعمي ويصمّ، ورأس كل خطيئة، والنّبي إنّما يبعث في بيئة كافرة ومحيط مشرك، قد تلوّث بألوان المعاصي والاثام، ليقوم بين الناس بالقسط، وليهدي العباد إلى ربّهم، وينجيهم من الضلالات والجهل وأتباع الهوى ومتابعة الشياطين وعبادة إبليس وغوايته ويخرجهم من الظلمات إلى النور، فلابدّ أن يُعصم أوّلاً بعصمة ذاتية، فشرط الله سبحانه على الأنبياء أن يزهدوا في دنياهم الدنية، فشرطوا له ذلك، وعلم الله منهم الوفاء فكرّمهم بكرائم ومنازل تخصّهم دون غيرهم.

وإنّما كان الاشتراط في العوالم السابقة على عالم الدنيا، كعالم الأنوار والأرواح وعالم الذرّ والبرزخ الفوقاني في القوس النزولي، وكان قبول الشرط بالاختيار بما يتناسب مع تلك العوالم، وإلى هذا المعنى جاء في دعاء الندبة: «اَللّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلى ما جَرى بِهِ قَضائُكَ في اَوْلِيائِكَ الَّذينَ اسْتَخْلَصْتَهُمْ لِنَفْسِكَ وَدينِكَ اِذِ اخْتَرْتَ

لَهُمْ جَزيلَ ما عِنْدَكَ مِنَ النَّعيمِ الْمُقيمِ الَّذي لازَوالَ لَهُ وَلاَ اضْمِحْلالَ بَعْدَ اَنْ شَرَطْتَ عَلَيْهِمُ الزُّهْدَ في دَرَجاتِ هذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَزُخْرُفِها وَزِبْرِجِها فَشَرَطُوا لَكَ ذلِكَ وَعَلِمْتَ مِنْهُمُ الْوَفاءَ بِهِ فَقَبِلْتَهُمْ وَقَرَّبْتَهُمْ وَقَدَّمْتَ لَهُمُ الذِّكْرَ الْعَلِيَّ وَالثَّناءَ الْجَلِيَّ وَاَهْبَطْتَ عَلَيْهِمْ مَلائِكَتَكَ وَكَرَّمْتَهُمْ بِوَحْيِكَ وَرَفَدْتَهُمْ بِعِلْمِكَ وَجَعَلْتَهُمُ الذَّريعَةَ اِلَيْكَ وَالْوَسيلَةَ اِلى رِضْوانِكَ فَبَعْضٌ اَسْكَنْتَهُ جَنَّتَكَ اِلى اَنْ اَخْرَجْتَهُ مِنْها وَبَعْضٌ حَمَلْتَهُ في فُلْكِكَ وَنَجَّيْتَهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْهَلَكَةِ بِرَحْمَتِكَ وَبَعْضٌ اتَّخَذْتَهُ لِنَفْسِكَ خَليلاً وَسَئَلَكَ لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرينَ فَاَجَبْتَهُ وَجَعَلْتَ ذلِكَ عَلِيّاً وَبَعْضٌ كَلَّمْتَهُ مِنْ شَجَرَةٍ تَكْليماً وَجَعَلْتَ لَهُ مِنْ اَخيهِ رِدْءاً وَوَزيراً وَبَعْضٌ اَوْلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ اَبٍ وَآتَيْتَهُ الْبَيِّناتِ وَاَيَّدْتَهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَكُلٌّ شَرَعْتَ لَهُ شَريعَةً وَنَهَجْتَ لَهُ مِنْهاجاً وَتَخَيَّرْتَ لَهُ اَوْصِياءَ مُسْتَحْفِظاً بَعْدَ مُسْتَحْفِظٍ مِنْ مُدَّةٍ اِلى مُدَّةٍ اِقامَةً لِدينِكَ وَحُجَّةً عَلى عِبادِكَ وَلِئَلاّ يَزُولَ الْحَقُّ عَنْ مَقَرِّهِ وَيَغْلِبَ الْباطِلُ عَلى اَهْلِهِ وَلا يَقُولَ اَحَدٌ لَوْلا اَرْسَلْتَ اِلَيْنا رَسُولاً مُنْذِراً وَاَقَمْتَ لَنا عَلَماً هادِياً فَنَتَّبِعَ آياتِكَ مِنْ قَبْلِ اَنْ نَذِلَّ وَنَخْزى اِلى اَنِ انْتَهَيْتَ بِالْأَمْرِ اِلى حَبيبِكَ وَنَجيبِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَكانَ كَما انْتَجَبْتَهُ سَيِّدَ مَنْ خَلَقْتَهُ وَصَفْوَةَ مَنِ اصْطَفَيْتَهُ وَاَفْضَلَ مَنِ اجْتَبَيْتَهُ

وَاَكْرَمَ مَنِ اعْتَمَدْتَهُ قَدَّمْتَهُ عَلى اَنْبِيائِكَ وَبَعَثْتَهُ اِلَى الثَّقَلَيْنِ مِنْ عِبادِكَ وَاَوْطَأْتَهُ مَشارِقَكَ وَمَغارِبَكَ ...»[١].

فما نال الأنبياء الكرامة بالمعنى الخاص إلّا بالزهد والطاعة.

روي عن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه عن أسئلة الزنديق:

قال: فمال بال ولد آدم فيهم شريف ووضيع؟

قال: الشريف المطيع والوضيع العاصي.

قال: أليس فيهم فاضل ومفضول ؟

قال: إنّما يتفاضلون بالتقوى.

قال: فتقول: ان ولد آدم كلهم سواء في الأصل لا يتفاضلون إلّا بالتقوى؟ قال: نعم إني وجدت أصل الخلق التراب والأب آدم والأُم حواء، خلقهم إله واحدٌ وهم عبيده، إنّ الله عزوجل إختار من ولد آدم أُناساً طهّر ميلادهم وطيّب أبدانهم وحفظهم في أصلاب الرجال وأرحام النساء، أخرج منهم الأنبياء والرسل فهم أزكى فروع آدم، فعل ذلك لا لأوامر إستحقوه من الله عزوجل، ولكن علم الله منهم حين ذرأهم، أنهم يطيعونه ويعبدونه، ولا يشركون به شيئاً، فهولاء بالطاعة نالوا من الله الكرامة والمنزلة الرفيعة عنده[٢].

---

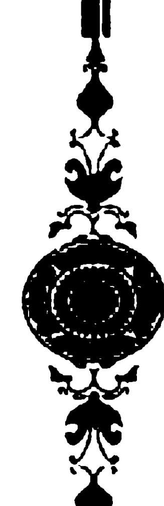
(١) مفاتيح الجنان: دعاء الندبه.

(٢) البحار: ١٠: ١٧٠.

الصّبر

إنّ علماء الأخلاق والسير والسلوك في مقام تهذيب النفوس وصيقلة الأرواح وتخلّقها بأخلاق الله وأخلاق أنبيائه وأوصيائه وأمنائه في الأرض يذكرون في العقل العملي مراحل ثلاث، لابدّ من طيّها حتّى يصل الانسان إلى كماله المتمثل بتجليّات إلهيّة، بأن يكون مرآة صافية لتجلّي أسماء الله الحسنى وصفاته العليا فيها، فيكون مظهراً لربّه جلّ جلاله. أمّا المراحل الثلاث فكما يلي:

١ ـ التّخلية: فلابد للسائر إلى الله والمتخلّق بأخلاقه الحسنى أن يخلّي قلبه من الهوى، ومن الصفات الذميمة والأفكار الرديئة، والأعمال القبيحة من الآثام والمعاصي والذنوب، فان القلوب أوعية، ولا يمتلئ الوعاء من الماء إلّا أن يفرغ من الهوى، وإنّ الأرض السبخة لا ينبت فيها النبات الحسن، بل لابد من حرثها وتطهيرها وتخليتها من الأشواك والاحجار الزائدة والقاذورات والأوساخ، وكل ما يمنع الإنبات والزّرع.



٢ ـ التحلية: بأن يحلّي قلبه ونفسه بالصفات الحميدة والأخلاق

الجميلة، فبعد أن يخلّي قلبه من الريّاء يزيّنه ويحلّيه بـالاخلاص، وبعد إزالة الكبر يتزيّن بالتواضع، وبعد زوال محبّة الدنـيا يـتحلّىٰ بحبّ الله سبحانه، وبعد دفع الجهل يتجمل بالعلم، فلابد من محاربة جنود الجهل أوّلاً ، وإخراجهم من سلطنة القلب والروح والعقل، ثم يتحلّى ويتقوى بجنود العقل.

٣ـ التّجلية: فانّ السائر إلى الله لا يتوقف في سيره وسلوكه وتهذيبه وكماله، بل إلى ربك المنتهى، وإلى ربك الرُّجعى، وإنّ الله في صفاته السرمديّة بلا أوّل ولا آخر، فدائماً السالك إلى الله سبحانه والعارف به يجلّي ويصيقل تلك الصفات الطيبة والأخلاق الفاضلة في نفسه كصيقلة المرآة، فيزداد علماً ﴿وَقُـل رَّبِّ زِدْنِـي عِـلْماً﴾[1] فـاتقوا الله ويعلّمكم الله، والتقوى رأس الاخلاق.

هذه عجالة وزبدة ما يقوله علماء الأخلاق في مقام التربية والتعليم وتهذيب النفوس.

ومن الواضح إنّ أساس هذه المراحل، بـل وأُسّ الاخـلاق وجـذر الجذور في السير والسلوك هو الصبر، فلولاه لما تمكّن الانسان أن يصل إلى قمّة المعالي، وسماء الفضائل، وأوج المكارم.

ومن المعصومين ﴿ع﴾ من امتحنهم الله بالصبر بما لا يطيقه البشر، بل



(١) طه: ١١٤.

ولا يتحمّله ملك مقرب ولا نبيّ مرسل، الّا الأربعة عشر المعصومون عليهم السلام، أعني فاطمة الزهراء سيّدة النساء وأباها وبعلها وبنيها الأئمّة الأحد عشر عليهم السلام.

فقد ورد في زيارتها عليها السلام:

السلام عليك يا ممتحنة قد إمتحنك الله قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة...

فقبل أن يخلقها في عالم المُلك والناسوت قد إمتحنها وإختبرها في العوالم الأُخرى ـ والاختبار يدلّ على الاختيار لا الاضطرار، وهذا يعني ان في تلك العوالم العِلوية كان الاختبار أيضاً ـ أي قد إمتحنها في عالم الملكوت والأمر ـ عالم الأنوار والأرواح والعقول وعالم الذرّ والاشباح والمثل ـ فكانت صابرة، وعلم الله منها ذلك، فعصمها في ذاتها بعصمة قدسية، فكانت مظهراً لعصمة الله الكبرى، وجمعت بين نوري العصمة النبوية التي خُتمت بأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله والعصمة العلويّة التي ختمت ببعلها سيّد الأوصياء وبأولادها الأئمّة النجباء عليهم السلام، وإلى هذا المقام أشار سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[1].



(١) السجدة: ٢٤.

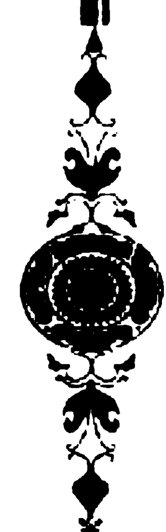
العصمة ومشتقاتها في الأحاديث الشريفة

لقد عقدتُ هذا الفصل لزيادة المعلومة في العصمة بكل أنواعها ومصاديقها، فإنه قد وردت كلمة (العصمة) ومشتقاتها في الأحاديث الشريفة كثيراً بلغت المئات، ولاسيّما في الأدعية والزيارات، ولمزيد الفائدة نذكر بعض النماذج، كما ورد في (بحار الأنوار للعلّامة المجلسي) مستخرجاً ذلك من المعجم المفهرس للبحار المطبوع بإشراف (على رضا برازش) المجلد ١٩ طبع مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي) ومن أراد التفصيل فعليه بالمراجعة:

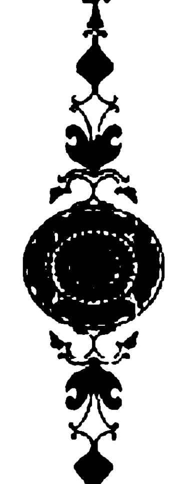
	الجزء	الصفحة
أحمده ـ إستعصاماً من معصيته	٧٧	٣٣٣
٢ ـ أستعصم بالله	١	١٢٩
٣ ـ من إستعصمك به عصمته	١٠٠	٤١٥

٢٢ ـ من إعتصم بالله لا يُهزم	٧١	١٥١
٢٣ ـ من إعتصم بالله نجا	٨٦	٣٠٤
٢٤ ـ الناجي من إتقى ـ وإعتصم بحبال الورع	١٠٣	١٠١
٢٥ ـ خاب من إعتصم بحبل غيرك	٩٤	٩٦
٢٦ ـ ما حق من إعتصم بحبلك أن يخذل	٩٤	١٥٢
٢٧ ـ الهي ـ إنّ من اعتصم لمستجير	٩٤	٩٨
٢٨ ـ سلم من صدقكم، وهدي من إعتصم بكم	١٠٢	١٥١
٢٩ ـ نحن عصمة لمن إعتصم بنا	٥٠	٢٩٩
٣٠ ـ الايمان ـ عصمة لمن إعتصم به	٦٨	٣٨٢
٣١ ـ نحن حبل الله ـ الذي من اعتصم به هدى	٢٧	١٩٨
٣٢ ـ أورثناهم النار إلّا من إعتصم بهذه العصابة	٤٥	١٨٣
٣٣ ـ الكرام ـ عصمة لمن إعتصم بهم	٩٠	٨٧
٣٤ ـ إن إعتصم بي عصمته	١٤	٣٧
٣٥ ـ إعصمني كي أعتصم	١٠٠	١٦٧
٣٦ ـ إذا صليت الظهر فقل بالله إعتصمت	٨٦	٧٣
٣٧ ـ أعددت لكل عدوٍ إعتصمت بالله	٨٧	٦
٣٨ ـ إعتصمت بحبل الله وبحبل رسوله	٣٦	١٦
٣٩ ـ إعتصمت بحبلك فلا تكلني إلى غيرك	٩٨	٢٣٥

٤٠ ـ إعتصمت بعروة الوثقى	٩٨	٣٢٩
٤١ ـ لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به	٢١	٤٠٥
٤٢ ـ إعتصموا بالتقية من شبّ نار الجاهلية	٥٣	١٧٥
٤٣ ـ وإعتصموا بحبل الله جميعاً ـ نحن الحبل	٢٤	٥٢
٤٤ ـ اللهم اغفر ذنبي وإعصم عملي	٩٨	٢٩
٤٥ ـ ارزقنا الشهادة وإعصمنا من الفتنة	٣٢	٦٠٧
٤٦ ـ إعصمنا من الذنوب خير العصم	٩٨	٣٩٣
٤٧ ـ اللهم وفقنا وسددنا وإعصمنا	٩٨	٢٢٤
٤٨ ـ إعصمنا فيما بقي من أعمارنا	٩٧	١٤٥
٤٩ ـ إعصمنا من الآثام والحوبة	٩٥	٣٤٥
٥٠ ـ فصل على محمد وآله وإعصمني	٨٧	٢٦٢
٥١ ـ إكفني شرّ ما أسلفت وإعصمني	٩٨	٤١٠
٥٢ ـ اللهم بحجتك إعصمني	١٠٢	٩٥
٥٣ ـ إعصمني ان أُخطئ	٩٨	٣٢٩
٥٤ ـ إعصمني بالسكينة	٩٧	٣٣٨
٥٥ ـ اللهم إعصمني بدينك وبطواعتيك	٩٩	٣٤٤
٥٦ ـ الهمني طاعتك وإعصمني عن معصيتك	٩٠	٤٣٧
٥٧ ـ إعصمني في جميع أحوالي	٩٨	٢٩



٣٦٤ـ الائمة بعدي اثناعشر ـ أُمناء معصومون	٣٦	٢٩١
٣٦٥ـ تسعة من صلبه أئمة أبرار أمناء معصومون	٣٦	٣٠٤
٣٦٦ـ الائمة أمناء معصومون	٣٦	٣٠٨
٣٦٧ـ أنوار الائمة بعدك أُمناء معصومون	٣٦	٣٢٣
٣٦٨ـ الائمة ـ مطهرون معصومون	٣٦	٣٢٨
٣٦٩ـ أحد عشر من صُلبك أئمة معصومون	٣٦	٣٣٥
٣٧٠ـ أئمة أبرار أُمناء معصومون	٣٦	٣٤٢
٣٧١ـ هم أهل بيت طهارة معصومون	٤٤	٢٧٦
٣٧٢ـ سبعة من ولده أُمناء معصومون	٣٦	٣٦٠
٣٧٣ـ نحن قوم معصومون ـ أمر الله بطاعتنا	٢٥	٢٩٨
٣٧٤ـ إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى	١١	١٦٤
٣٧٥ـ الائمة ـ معصومون قوامون بالقسط	٣٦	٣١١
٣٧٦ـ انهم عباد معصومون لا يعصون الله	٢٤	٣٨٢
٣٧٧ـ الانبياء معصومون مطهرون	١٠	٢٢٧
٣٧٨ـ الائمة ـ معصومون مطهرون	٣٦	٣٣١
٣٧٩ـ نحن إثنا عشر كلنا معصومون مطهرون	٣٦	٤٠٩
٣٨٠ـ الأنبياء لا يذنبون ـ معصومون	٢٤	٢٧٥
٣٨١ـ أُولي الأمر ـ معصومون مطهرون	٩٢	١٧٩



وأخيراً

هذا غيض من فيض، ولئالي ودرر من خزائن ومعادن الأخبار والآثار ومن (بحار الأنوار) في بيان موارد العصمة ومصاديقها، ومنها ما يتعلق بالموضوع في إشتراط العصمة في الأنبياء وفي الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، خلفاء الرسول المختار محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، ومن أراد التفصيل فيمكنه إستخراج الرواية بتمامها من خلال هذا الفهرس الذي بين يديه، ولمزيد الفائدة وزيادة العائدة أُشير إلى جملة من الروايات، أحيل شرحها والتعليق عليها إلى نباهة القارئ الكريم وإلى خلفيّته الثقافية، فان المقصود الخلاصة النافعة، والزّبدة المفيدة، من دون إسهاب وتطويل.

٣٩٩ ـ قال الإمام الصادق في حديث: والأنبياء وأوصيائهم لا ذنوب لهم لأنهم معصومون مطهّرون[1].

٤٠٠ ـ البحار بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام

---

(١) البحار: ١٠: ٢٢٧.

عن النبي ﷺ انه قال: من سرّه أن ينظر إلى القضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عزوجل بيده ويكون متمسكاً به، فليتولّ علياً والأئمة من ولده، فانهم خيرة الله عزوجل وصفوته، وهم المعصومون من كل ذنب وخطيئة[1].

٤٠١ ـ معاني الأخبار بسنده عن علي بن الحسين عليه السلام قال: الإمام منّا لا يكون الّا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلّا منصوصاً.

فقيل له: يابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال: هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الإمام، وذلك قول الله عزوجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2].

قال العلامة المجلسي في بيانه: قوله عليه السلام: (هو المعتصم) كان المعنى أن معصوميته بسبب اعتصامه بحبل الله ولذا خصّ بالعصمة لا مجازفة، أو معنى المعصوميّة أنّه جعله الله معتصماً بالقرآن لا يفارقه[3].

٤٠٢ ـ عن سليم بن قيس قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول:

---

(١) البحار: ٢٥: ١٩٣.

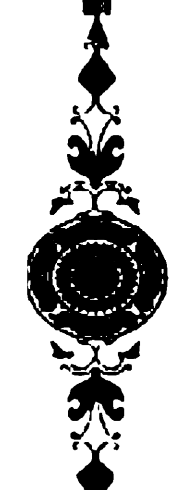
(٢) الأسراء: ٩.

(٣) البحار: ٢٥: ١٩٤.

إنّما الطاعة لله عزوجل ولرسوله ولولاة الأمر، وإنّما أُمر بطاعة اولي الأمر لانهم معصومون مطهرون لا يأمرون بمعصيته[1].

٤٠٣ـ عن إبن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون[2].

هذا وقد تعرّض العلامة المجلسي في كتابه القيم (بحار الأنوار) إلى موضوع العصمة في مجلّدات عديدة، إلّا انه خصّ البحث في عصمة الأنبياء، فمن أراد التحقيق والتفصيل فعليه بالمراجعة، فما في بحارالأنوار كفاية لمن أراد الهداية، والله المرشد الهادي، ولا حوّل ولا قوّة الا بالله العلي العظيم. والبحث عن عصمة النبي الأعظم محمّد ﷺ في (المجلد ١٧) وعن عصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام في (المجلد ٢٥) ـ كما مر ـ والحمد لله رب العالمين.



(١) البحار: ٢٥: ٢٠٠ عن علل الشرائع: ٥٢.
(٢) البحار: ٢٥: ٢٠١ عن كمال الدين: ١٦٣.

أدلة العصمة في الأدب العربي

قد أقرّت دلائل الصدق حقاً … عصمة الأنبياء والأوصياء

فهي شرط فرض وحكم لزامٌ … فيه يقضي بالحق عدل القضاء

حيث إنّ الوثوق للناس فيهم … دونها منتفٍ أشدّ إنتفاء

في جميع الأقوال بالصدق منهم … وجميع الأفعال وبالإقتداء

لجواز النسيان والكذب عمداً … منهم دون خشية واتّقاء

ويكون التبليغ في كل شيء … بلغوا فيه مَعرضاً للبلاء

وهو نقض لحكمة البعث مودٍ … بقبول التكليف والارتضاء

فهي لابد أن تحقق رعباً … لرسالات سائر الأصفياء

واحتفاضاً من الضياع عليها … حين تمسي لغواً بغير غناء

وهو إن كان عند فعل المعاصي … واجب الاتباع والاقتفاء

كان شيء محرم الذات فرضاً … واجباً هو باطل الادّعاء

لاجتماع الضدّين وهو محال … عن حريم الامكان بالذات نائي

وإذا كـــان لا يـــجوز عـــلينا ... فـــهو نـــقض لبـــعثة الأنـــبياء
وهو يمسي من أدون الناس حـالاً ... حـــين يـــعصي وأسـوأ الجـهلاء
حـــيث إنّ النـــبي أرفـــع قـدراً ... ومـــقاماً مـــن ســـائر الأوليـــاء
فـيكون العـصيان أفـحش مـنه ... حـــين يـــؤتى وأقـبح الأسـواء
لكـــمال العـــرفان بـــالله مـــنه ... وهـــو أســـمى مـــراتب الارتـقاء
وعـــلى هـــذه الوتـــيرة تـزداد ... حـــدود التـأديب فـي الفـحشاء
فـــيحُدّ العـــبيد عـند المـعاصي ... نصف حد الاحـرار فـي الاعـتداء
ونســـاء النـــبي تـــزداد ضـعفاً ... في العقوبات عن جـميع النسـاء
وحـدود الاحـصان دون سـواهـا ... قد أميزت بـالرجـم عـند البغاء
وهو عـند العـصيان يسـقط قـد ... راً فـي عـيون الجـهال والعـقلاء
ويكـــون الاعـــراض عـنه بـديلاً ... عن عـظيم الاقـبال بـعد الجـفاء
وهو يمسي في عـزلة عـن سـواه ... بـعد هـذا الجـفا وهـذا التـنائي
فـــيعزّ انـــقيادهم والتـــدانـــي ... للـــتكاليف عـــند وقت النـــداء
وهـــو ردّ لبـــعثة الرســـل مـــنه ... ورســـالات ســـائر السّـــفراء[1]



---

(١) ملحمة أهل البيت عليهم السلام للشاعر عبدالمنعم الفرطوسي ج١: ص: ٩٢.

عصمة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام

لقد ذكرت بالتفصيل عصمة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام وأقمت الأدلة القاطعة على ذلك في الكتب التي ألّفتها وصنّفتها عن مولاتنا عليها السلام مثل (فاطمة الزهراء ليلة القدر) (الدرّة البهيّة في الأسرار الفاطميّة) (فاطمة الزهراء سرّ الوجود) (فاطمة الزهراء مشكاة الأنوار) (نور الزهراء في السماء) وغيرها.

ومن الأدلّة النقليّة: إنّها وصفت في كلمات المعصومين عليهم السلام بالصديقة وهي تعني العصمة، ثم لا يغسّل المعصوم والمعصومة في غسل الميت عند وفاتها الّا من كان معصوماً كما ورد في الخبر الشريف:

سأل المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت: من غسّل فاطمة؟ قال: ذاك أمير المؤمنين فكأنني استعظمت ذلك من قوله فقال: كانك ضيقت بما أخبرتك به؟ فقلت: قد كان ذلك جعلت

فداك! قال: لا تضيقن، فانها صديقة، ولم يغسّلها إلّا صدّيق، أما علمت انّ مريم لم يغسلها إلّا عيسى.

ومن الآيات القرآنية الدالة على عصمتها كأبيها وبعلها وبنيها آية التطهير ـ وقد مرّ تفصيل ذلك ـ إلّا إنّه ماأروع الاستدلال بها في كلام أميرالمؤمنين علي عليه السلام الذي ينبع عن إحاطة علمية بما في الواقع والحقيقة.

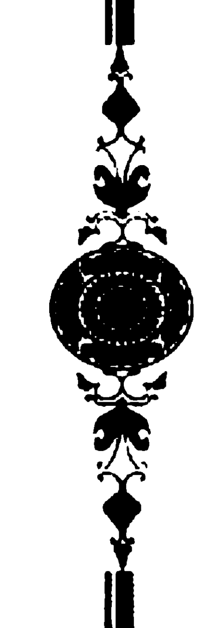
بحار الأنوار بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام في قصة فدك وإحتجاجه على أبي بكر في غصبه قال لأبي بكر: يا أبا بكر أتقرأ كتاب الله؟ قال: نعم، قال: أخبرني عن قول الله عزوجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُاللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطهِيراً﴾[1] فيمن نزلت؟ فينا أو في غيرنا؟ قال: بل فيكم، قال: فلو إنّ شهوداً شهدوا على فاطمة بنت رسول الله بفاحشةٍ ماكنت صانعاً؟ قال: كنت أُقيمُ عليها الحدّ كما أُقيم على نساء العالمين!! قال: كنت إذن عند الله من الكافرين، قال: ولِمَ؟ قال: لانك رددت شهادة الله لها بالطهارة، وقبلت شهادة الناس عليها... إلى آخره).

فمثل هذا الحديث العقلاني والوجداني والقراني يدل بوضوح على طهارة فاطمة الزهراء عليها السلام وعصمتها الذاتية الكليّة، كما كانت

(١) الاحزاب: ٣٣.

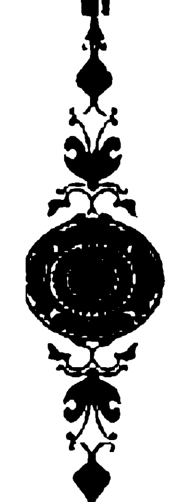
في الأنبياء والأوصياء، بل تشترك في العصمة بالمعنى الأخص مع أبيها وبعلها وبنيها، وهذا هو من السرّ المستودع فيها.

اللهم صلّ على فاطمة الزهراء وأبيها وبعلها وبنيها والسرّ المستودع فيها، بعدد ماأحاط به علمك، وأحصاهُ كتابك، وأحينا حياتهم، وأمتنا مماتهم، وأدبنا بآدابهم وخلّقنا بأخلاقهم، وأرزقنا في الدنيا زيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم، واحشرنا في زمرتهم، وفي درجاتهم في أعلى العليين آمين، وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين.



تنبيه هام[1]

لقد أجمعت الطائفة المحقة من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام إنّ الذي ورد في القرآن الكريم في سيرة الأنبياء من نسبة النقص أو الذنب اليهم كقوله تعالى (وعصى آدم ربّه) فانه من باب (ترك الأُولى) للقول بعصمتهم المانعة من الخطأ والخطيئة، فكان الأُولى لهم أن لا يفعلوا ذلك، ففعلهم إيّاه لا يتنافى مع عصمتهم الذاتية، وهنا جواب لأميرالمؤمنين علي عليه السلام أدق وأعمق وفيه مسحة عرفانية، وسمّو في المفهوم والمعنى.



جاء في البحار في خبر من ادّعى التناقض في القرآن الكريم: قال أمير المؤمنين عليه السلام: وأمّا هفوات الأنبياء، وما بيّنه الله في كتابه ووقوع الكناية عن أسماء من اجترم أعظم ممّا اجترمه الأنبياء ممّن شهد الكتاب بظلمهم، فان ذلك من أدّل الدلائل على حكمة الله

---

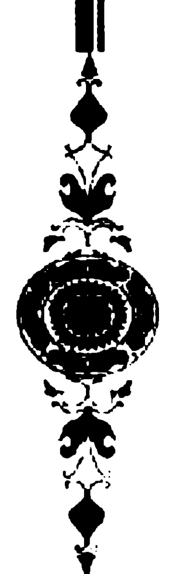
(١) ذكرت تفصيل ذلك في (الأنوار القدسية) فراجع.

عزوجل الباهرة، وقدرته القاهرة، وعزّته الظاهرة، لأنه علم أنّ براهين الأنبياء عليهم السلام تكبر في صدور أممهم، وإنّ منهم من يتخذ بعضهم إلهاً كالذي كان من النصارى في ابن مريم، فذكرها دلالة على تخلّفهم عن الكمال الذي تفرّد به عزوجل، إلى آخر الحديث الشريف[1].

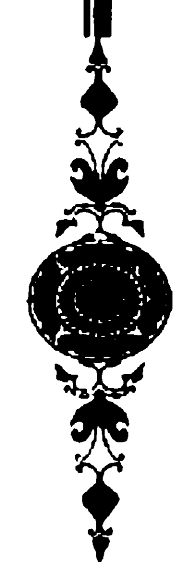
أقول: ان الله لا يقاس به شيء، فاذا قيس الانسان به حتى لو كان نبيّه المقرب فإنّه عبده، وإنّه في ذاته فقير لا يملك لنفسه شيء، فهو مع الله لاشيء، فان الله سبحانه هو الكمال المطلق ومطلق الكمال، وما سواه نقص وعيب وفقر وعدم، وإنّما كماله وتمامه وغناه ووجوده بصمدية الله وكماله وغناه، فاذا قيس مع الله فهو لا شيء، ويرى نفسه أكثر الناس عصياناً وذنباً حتى يغمي عليه خوفاً من ربّه، ويتململ كتململ السّليم، ويصرخ دعائياً ومناجياً (واغفر لي الذنوب التي تهتك العصم، وتغير الهواء والنعم، وتنزل البلاء والسقم، كما في دعاء كميل عن أمير المؤمنين عليه السلام)، ففي تركهم الأُولى ينسب اليهم ربهم النقص والعيب والهفوات، وربما بلغه، الذنب والخطيئة، وأمّا الأنبياء والأوصياء بالنسبة إلى باقي البشر، فإنهم لا يقاس بهم أحد لعصمتهم الذاتية، وعلمهم اللّدني،

(١) البحار: ٨٩: ٤٣ عن الاحتجاج: ١٣١.

وكمالاتهم النبوية والولوية، كما عند الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام فما ينسب اليهم بالنسبة إلى الناس سيكون من باب ترك الأُولى حينئذٍ، وبهذا نقول بطهارة ساحة الأنبياء من الخطأ والخطيئة، فتدبّر. فإنّ هذا في الأنبياء وأوصيائهم دون خاتم النبيين وسيّد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وخلفائه الإثنى عشر المعصومين وسيّد نساء العالمين فاطمة الزهراء، عليهم صلوات الله أجمعين، وأبد الآبدين، إلى قيام يوم الدين، فإن عصمتهم فوق عصمة الأنبياء عليهم السلام ودون قدوسية الله وسبوحيّته، فسبحان الله عمّا يصفه الواصفون، والله أكبر عمّا ينعته الناعتون، وآخر دعوانا أن الحمدلله ربّ العالمين.



فهرس المطالب





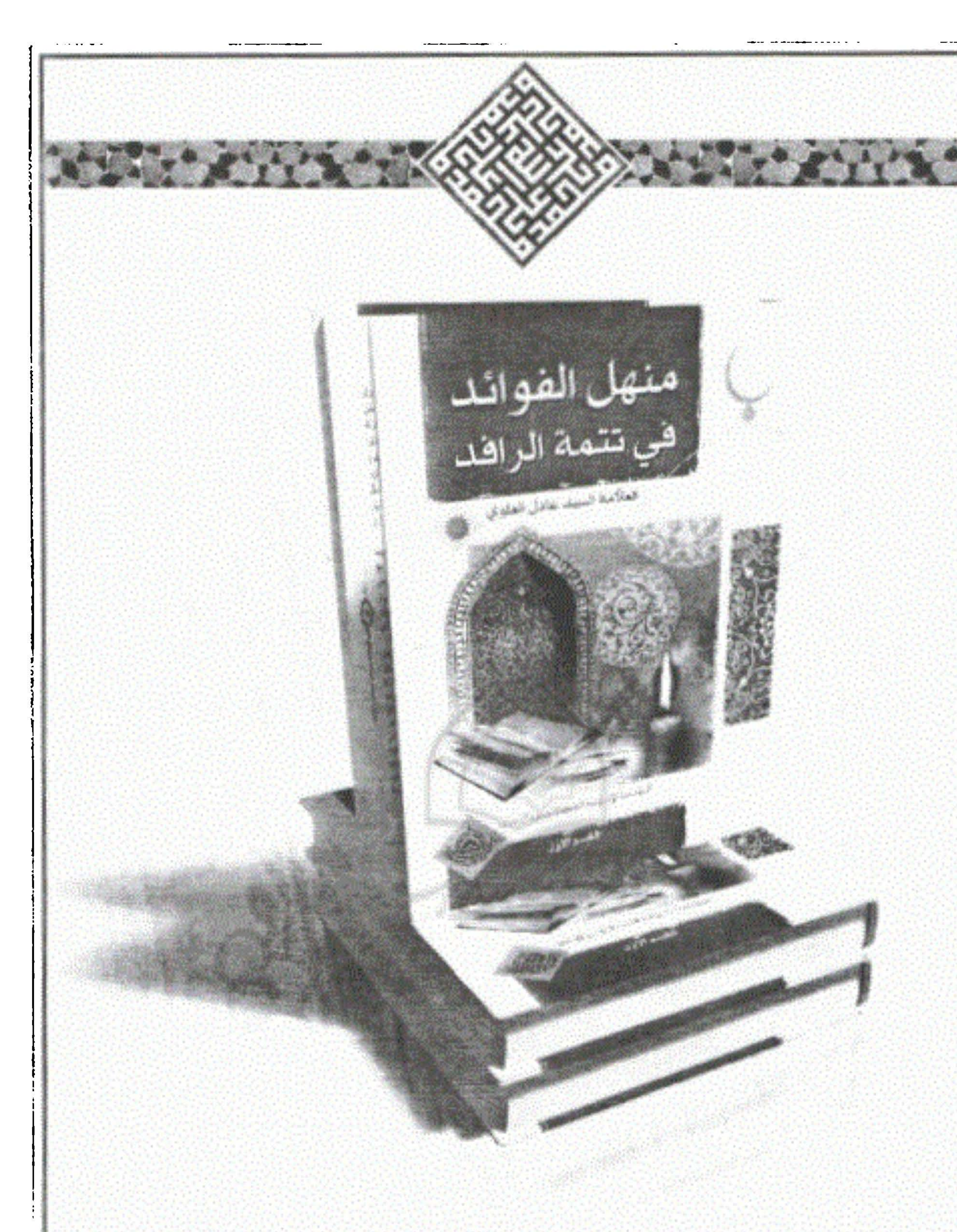


أنشئت المؤسّسة الإسلاميّة العالميّة للتبليغ و الإرشاد في مدينة قم المقدسة في ذكرى ميلاد صاحب الأمر الحجة الثاني عشر قائم ال محمّد (عليهم السلام) المصادف ١٥ شعبان سنة ١٤١٠ هجريّة.

من أهدافها الرئيسيّة، بناء طلبة وأعين و مبلغين رساليين و نشر الإسلام الأصيل و مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في كافة ارجاء المعمورة عن طريق طبع و نشر آلاف الكتب العقائديّة و الثقافيّة الإسلاميّة و باللغات المختلفة و إرسالها إلي كلّ من يراسلها من جميع الأقطار و الأمصار.

و من هذا المنطلق قامت المؤسّسه خلال ٢٠ عاما بالنشاطات التالية،

١- طبعت و نشرت ١١٤ كتابا إسلاميّا دينيّا. ٢- تاسيس جماعة العلماء و الخطباء في الكاظميّة المقدّسة و بغداد. ٣- تاسيس مستوصف الإمام السجاد (ع) الخيري في قم. ٤- إصدار صحيفة صوت الكاظمين الشهرية. ٥- إصدار مجلة الكوثر (عربي انكليزي) نصف سنوية. ٦- أرسلت آلاف الكتب لمراسليها في أكثر من أربعين دولة. ٧- جمعيّة السؤال و الجواب و قد أسّست سنة ١٣٦٨ هجرية. ٨- إصدار مجلة عشاق أهل البيت (ع) فصليّة بلغة الأردو، و نشاطات إجتماعيّة و ثقافيّة أخرى.



منهل الفوائد
في تتمة الراقد



في بيان عقائد الإماميّة الإثني عشريّة في الأصول والفروع على ضوء القرآن الكريم والعترة الطاهرة (عليهم السلام).